جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

من قضايا البيت النبوي في القرآن الكريم
دراسة في ضوء اللسانيات النفسية

From the Issues of the Prophet's Household in the Holy Quran A Study in Light of Psychological Linguistics

إعداد
د/ سامح أحمد عبد الحميد محمد الهمّامي
مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع أسيوط

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

من قضايا البيت النبوي في القرآن الكريم

دراسة في ضوء اللسانيات النفسية

سامح أحمد عبد الحميد محمد الهمّامي

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.

البريد الإلكتروني: *samehmahmod.47@azhar.edu.eg*

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة لسانية لبعض القضايا التي عالجها القرآن الكريم مما حدث من مواقف في البيت النبوي، وقد اختير للبحث نموذجان، هما: الآيات التي تسمى بـ"آيات تخيير النبي أزواجه" وذلك في سورة الأحزاب، والآيات الخمس الأولى من سورة التحريم، ويعالج البحث هذه المواقف معالجة لغوية من منظور اللسانيات النفسية موضحًا أثر الدوافع والانفعالات النفسية على التعبير بلفظ، أو صيغة صرفية، أو تركيب نحوي معين، كما يقارن بين المواضع والانفعالات النفسية موضحًا السبب في اختلاف التعابير أو اتحادها من زاوية اللسانيات النفسية، ويقدم البحث رؤية لغوية تنطلق من بيان أثر الدوافع النفسية في فهم النص اللغوي والسمات التي يتسم بها أي نص، كذلك يوضح أثر التعابير اللغوية في إثارة المشاعر والانفعالات النفسية مستفيدًا في ذلك من حقول ثلاثة: التفسير، اللسانيات، علم النفس.

الكلمات المفتاحية: علم اللغة النفسي ، اللسانيات النفسية ، زوجات النبي ، البيت النبوي ، سورة الأحزاب ، سورة التحريم .

From The Issues Of The Prophet's Household In The Holy Qurana Study In Light Of Psychological Linguistics

Sameh Ahmed Abdel Hamid Mohamed Al-Hamami

Department of Fundamentals of Language, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Assiut Branch

Email: *samehmahmod.47@azhar.edu.eg*

Abstract:

This research linguistically examines some issues addressed by the Qur'an concerning incidents that occurred in the Prophet's household. Two cases have been selected for this study: the verses known as "The Verses of the Prophet's Choice of His Wives" in Surah Al-Ahzab, and the first five verses of Surah At-Tahrim. The research approaches these incidents from a linguistic perspective through the lens of psycholinguistics, elucidating how psychological motives and emotions influence the expression through specific words, morphological forms, or syntactic structures. It also compares different instances and psychological states, explaining the reasons behind the variation or uniformity in expressions from a psycholinguistic viewpoint. Furthermore, the research offers a linguistic vision that highlights the impact of psychological motives on the understanding of linguistic texts and the characteristics inherent in any text. It also clarifies how linguistic expressions can evoke emotions and psychological reactions, drawing upon insights from three fields: exegesis, linguistics, and psychology.

Keywords: ***Psycholinguistics , Linguistics , The Wives Of The Prophet , The Household Of The Prophet , Surah Al-Ahzab , Surah At-Tahrim***

مقدمة

الحمد لله رب العالمين فاتحة كل خير، وختام كل نعمة، والصلاة والسلام على خير معلمي الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين **وبعد**،

فإن اللغة في جوهرها عملية تواصلية بين مرسِل ومتلقٍ متهيئ لفهم الرسالة اللغوية وفق ظروف وملابسات توثر على طريقة الخطاب الموجه، تبعًا لما يريد المخاطِب إرساءه في المتلقي، وما يريد علاجه فيه أو إقناعه به.

ولقد كان القرآن هو الكتاب الأوحد الذي راعى في دقة متناهية معجزةٍ نفسيةَ المخاطبين في القرآن؛ فلذلك ترى تنوع أساليبه تبعًا لتنوع المخاطبين ونفسياتهم؛ إذ "القرآن الكريم كتاب دين وهداية أنزله الله -سبحانه وتعالى- على النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه للناس كافة، يخاطب فيه عقل الإنسان ووجدانه ... ويهديه إلى ما فيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية، ويرشده إلى الطريق الأمثل لتحقيق ذاته ونمو شخصيته، وترقِّي نفسه في مدارج الكمال الإنساني؛ حتى يستطيع أن يحقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة"(١).

وقد شهدت اللسانيات وحقولها تطورًا ملحوظًا أدى إلى تنوع أساليبها في تحليل النصوص وفهم الخطابات، وكان من أهم فروعها ومن أحدثها: اللسانيات النفسية التي تهتم بتحليل اللغة من جوانبها: الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية، رابطة كل ذلك بالملابسات النفسية للمتكلم أو المخاطَب، مستفيدة في ذلك بما توصل اليه علم النفس من نتائج، وما توصل إليه الفكر اللساني نفسه من عزوف عن الوصفية المحضة وجنوح إلى الافتراض والتفسير والاستنباط.

---

(١) القرآن وعلم النفس ص١٩.

وانطلاقًا من هذه المعطيات فقد عزمت على خوض غمار التحليل اللساني من منظور اللسانيات النفسية في حقل يمثل أهمية كبرى للبيت المسلم ونبراسًا يُهتدى به، وهو حديث القرآن الكريم عن قضايا البيت النبوي الكريم، ذلك أن معظم الإشكالات الأسرية تنتج عن دوافع نفسية ورغبات إنسانية عالجها القرآن الكريم في ضوء مراعاة بشرية أزواج النبي –عليهن السلام– ودوافعهن النفسية، في لغة معبرة من هذه النوازع، ومعالجة لها أدق معالجة؛ بالألفاظ، والصيغ، والتراكيب، التي تناسب هذه السياقات.

وقد وقع اختياري على نموذجين من نماذج ما حدث في البيت النبوي الكريم وهما: قصة تخيير النبي ﷺ أزواجه بعدما طالبنه بزيادة النفقة، وقصة تعاون السيدة عائشة والسيدة حفصة _رضي الله عنهن_ وما ذكرتاه من وجود رائحة مغافير في فمه الشريف؛ حتى تنفراه من السيدة زينب بنت جحش أو جاريته مارية _رضي الله عنهن_ .

تساؤلات البحث:

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما أثر الدلالات النفسية في النظم القرآني الموجه للمخاطبين في هاتين القضيتين؟
٢. هل ثَم اختلاف نفسي أدى إلى اختلاف الموضعين في اختيار اللفظ أو الصيغة أو التركيب ؟
٣. ما الدواعي النفسية المختلفة في القضيتين من خلال سورتي الأحزاب والتحريم؟
٤. كيف عالج القرآن –لغويًا– القضيتين؟

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التي تتعلق باللسانيات النفسية، وكتبت فيها رسائل وبحوث لا يحيط الحصر بها، وجميعها لم تتعرض تعرضا تفصيليًا لهاتين القضيتين، ولكن أقربها إلى بحثي الدراسات التالية:

١. من قصص النساء في القرآن الكريم دراسة لغوية في ضوء علم اللغة النفسي، للدكتورة/ سوسن حسانين أحمد الهدهد، وهو بحث منشور في مجلة كلية التربية جامعة الأزهر العدد ١٦١ المجلد الثاني بتاريخ: ديسمبر ٢٠١٤، وهي دراسة لقصص ثلاث من النساء في القرآن الكريم، هن: ملكة سبأ، والسيدة مريم، وامرأة العزيز، وقد قسمته على وفق القصص وليس على وفق الحقول اللغوية مناط الدراسة، كذلك لم تتحدث عن الدلالات المعجمية ولم تفرد لها مبحثًا في حين أفردت للقضايا الصوتية مبحثًا.

٢. شخصية المرأة في القصص القرآني دراسة أدبية تحليلية – د/نورة بنت محمد بن فهد الرشيد – وهي في أصلها رسالة دكتوراه للباحثة في كلية التربية للبنات في بريدة، ونوقشت بتاريخ: ١٤٢٦/٥/١هـ وكما تبدو من عنوانها فهي دراسة أدبية، لكنها لم تخلُ من الإشارة إلى بعض الملامح النفسية لشخصية المرأة عموما .

خطة البحث

جاء البحث موزعًا على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ومزيلاً بفهرس المراجع والمباحث الثلاثة هي:

المبحث الأول: الدلالات الصوتية والمعجمية للمفردات وإيحاءاتها النفسية

المبحث الثاني: الدلالة الصرفية وإيحاءاتها النفسية .

المبحث الثالث: التراكيب وإيحاءاتها النفسية.

أما ما قد يوجد من دلالات إيحائية صوتية فقد جعلتها داخلة ضمن الدراسة المعجمية أو الصرفية؛ حرصًا على عدم تشتت دراسة الألفاظ والصيغ في أكثر من مكان، مما قد يجعل الصورة غير مكتملة .

منهج البحث:

اتبعت في منهج البحث منهجًا وصفيًا يقوم على التحليل والاستقراء لنماذج من القصتين بما يبرز الظاهرة محل الدرس ويوضحها، وتظهر فيه السمات النفسية والدلالات الإيحائية أكثر من غيره من المواضع .

ولم يفتني استنباط الدلالات الإيحائية ودوافعها النفسية، وأثر ذلك في اختيار اللفظ أو الصيغة أو التركيب .

وفي النهاية ينبغي أن أنوه إلى أن ما يعرض في هذا البحث –بل وما قاله المفسرون قبله– شيء لا ينقص من مقدار زوجات النبي –ﷺ– فهن بشر يجوز عليهن ما يجوز على البشر، لكنهن سرعان ما يعدن إلى الجادة وإلى المنهج القويم، وهذا تكريم وتشريف من الله لهن لا يخرجهن عن طابع البشرية.

وأختم بما قاله شيخنا أبو موسى –حفظه الله– من أن "ذلك لا يقدح في مكانتهن، وأن ذلك يوضح الفرق بين التمثل الكامل لأخلاق الدعوة في شخصية النبي، والتأدب الكامل بآداب الدعوة في شخصية من حوله ... وليس من صالح المسلمين أن يقع في أوهامهم أن هذه الصحبة التي عاشت حول شخصية الرسول – عليه السلام– كانت مبرأة من عوامل الصراع النفسي الذى يعانى منه الإنسان، حين يأخذ نفسه في طريق الجادة، والخير، بل من الصالح أن يعرف المسلمون أن ما يعانونه من مغالبة للنفس، والأهواء، كان يعانيه غيرهم ممن في هذه الصحبة المباركة الطيبة، وأن هذه المغالبة بين حاجات النفس، ورغبات الهوى من جانب،

وبين الحفاظ على القيم العليا ومبادئ الخير والدين من جانب آخر، هذه المغالبة هي قانون التقوى، وأصل الطاعة ، وأن قوة المؤمن إنما تتولد في بوتقة هذا الصراع الداخلي(١).

رضي الله عن أمهاتنا أمهات المؤمنين

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين

والله أسأل التوفيق في القول والفعل وإليه القصد وهو يهدي السبيل

---

(١) من أسرار التعبير القرآني ص٢٥٦ و ٢٥٧ .

تمهيد

أولًا : اللسانيات النفسية: المصطلح والمفهوم والمجالات

منذ بدأ علم اللغة الحديث في الظهور وهو آخذ في التمدد والتوسع والالتحام بحقول علمية أخرى، حتى إنه يمكن القول: إنه ما من دراسة لسانية إلا وهي متداخلة ومتعالقة مع حقول علمية أخرى، وأهمها علم النفس، وقد حدث ذلك نتيجة تطور اللسانيات وانتقالها من الميدان النظري البحت إلى الميادين التطبيقية؛ لاسيما مع نظرية تشومسكى التحويلية.

ويمكن القول: إن بداية علاقة اللغة بالعلوم النفسية كانت في حوالى القرن التاسع عشر على يد شتاينهال (١٨٢٣ – ١٨٩٩م) الذى يعد منشئ المذهب النفسي في اللسانيات، حيث بنى أفكاره المتعلقة بالظواهر التنفسية على آراء عالم النفس والتربية هربرت (١٨٦٣ – ١٩٣١)، وجهد ليصنف الحقائق النحوية من منطق نفسي(١).

وقد تحددت ملامح هذا العلم في العقد السادس من الألفية الماضية، وكان من واقع الاهتمام به ظهور اتجاهات جديدة في دراسة اللغة تتمثل في أفكار تشومسكي؛ إذ يرى أن أهم شيء يمكن أن يقوم به عالم اللغة هو دراسة العقل البشرى، وبذلك ينحو تشومسكي منحًى عقليًا في تفسير اللغة، ويرى كذلك أن أفضل طريقة للنظر في علم اللغة حسبانه فرعًا من علم النفس الادراكي(٢).

وقد أدى ذلك إلى وضوح العلاقة بين الهواجس النفسية والتراكيب اللغوية، فقد أدرك الباحثون ضرورة درسها بحسب الوجود النفسي فانتهَجَت نهجًا يخلط بين

---

(١) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ص ٧٢.

(٢) مقدمة في اللسانيات ص ١١٣.

علم النفس وعلم اللغة متضافرين بمعارفهما، فصار لدينا درس لساني يسمى بتسميات متعددة يفسر الظواهر اللغوية تفسيرات نفسية(١).

من هنا بدأت تتحدد ملامح هذا الحقل العلمي الجديد، وبدأ العلماء يضعون مفهومًا له؛ أملًا في ضبط المفهوم واتضاحه، ولكن هذا لم يحدث على الوجه المأمول، فقد تعددت تعريفات علم اللغة النفسي وتنوعت الرؤى فيه، وقد أشار إلى ذلك الدكتور العصيلي حين ذكر تعريفاته وتنوعها(٢).

ويبدو أن أسباب تنوع تعريفات متنوعة ومنها:

١. تطور العلم عبر مرور الزمن، فالعلم ينشأ أولًا في صورة أفكار شبه غائمة وموضوعات تتسم بالعمومية، ثم ما يلبث أن يأخذ في الاتضاح والتحديد، وهو ما يعود على التعريف بالاختلاف والزيادة والحذف .
٢. صعوبة الحقل المتداخل معه علم اللغة، وهو علم النفس، فهو علم متنوع الاتجاهات متعدد الرؤى متشتت النظرات، يأخذ كل هذا من سمات النفس البشرية التي يدرسها والتي تتميز بالتعقد والعمق والتقلب الكبير عبر مراحل الحياة.
٣. اختلاف منطلقات المدارس اللسانية الغربية ما بين مبادئ مدرسة سوسير ومبادئ مدرسة تشومسكي ومبادئ فيرث، وهو تنوع لا شك مؤثر في اتجاه التعريف نحو إبراز ملامح معينة ومبادئ جوهرية تتبناها كل مدرسة.
٤. ما اتسمت به اللسانيات نفسها من اختلاف في مفاهيم كل مصطلحاتها تقريبًا وتنوعٍ في تعاريفها، حتى في الأمور الواضحة؛ كالكلمة، والجملة تجد حول تعاريفها اختلافات كبيرة تصل إلى حد التشظي والتوهان أحيانا.

---

(١) ينظر: اللسانيات البينية ص ١٦١.

(٢) ينظر: علم اللغة النفسي ص ٢٦.

ومهما تنوعت التعريفات فيمكن إجمالها في أن علم اللغة النفسي هو العلم الذي يدرس اللغة وعلاقتها بالجوانب النفسية، أو الجوانب النفسية وأثرها في إنتاج اللغة وفهمها وتعلمها(١).

وكما تنوعت تعاريفه تنوعت كذلك مصطلحاته، وينقل الدكتور خالد حوير الشمس عدة تسميات لهذا العلم؛ مثل: سيكلوجية اللغة، اللغويات النفسية، السايكو لسانيات، علم نفس اللغة، علم اللغة النفسي، علم النفس اللغوي، علم النفس اللساني، اللسانيات النفسية(٢) .

ومن بين هذه المصطلحات يثور الخلاف حول مدى الاتفاق والاختلاف بين: علم اللغة النفسي، وعلم النفس اللغوي، أيهما من حقل اللغة وأيهما من حقل علم النفس(٣)، وممن أفاض في بيان الفروق بينهما الدكتور عبد العزيز العصيلي(٤).

وعلى كل حال فالخلاف هذا لم يعد له كبير تأثير؛ لأن مصطلح علم اللغة النفسي أو علم النفس اللغوي قد ندر استعمالهما في حقل اللسانيات حاليًا؛ لموت مصطلح علم اللغة أصلًا، وحلول مصطلح اللسانيات محله(٥)، وبات المسمى الأشهر "اللسانيات النفسية"، وهو ما يجعل العلم بلا خلاف حقلًا من الحقول اللسانية.

---

(١) ينظر: السابق ص ٢٦.

(٢) ينظر: اللسانيات البينية ص ١٦١.

(٣) ينظر: مهاد في اللسانيات ص ٢٠٦،٢٠٧.

(٤) ينظر: علم اللغة النفسي ص ٢٨ وما بعدها.

(٥) المصطلح الأذيع والأشهر في الاستعمال الأكاديمي حاليًا هو مصطلح "اللسانيات"، وينظر لمصطلح "علم اللغة" على أنه مصطلح تاريخي يشير إلى حقبة التلقي اللساني العربي الأول للسانيات الأوربية، وهو ما يجعله ذا طبيعة تاريخية لا استعمالية (الباحث) .

مجالات علم اللغة النفسي:

إن أهم أهداف علم اللغة هو الإجابة عن السؤال التالي: كيف يفهم الإنسان اللغة؟ وكيف يستعملها؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى يسعى علم اللغة النفسي إلى الإجابة عنها، مثل: كيف يفهم الإنسان الكلام؟ وكيف ينتجه؟ وما وظيفة القواعد العقلية في العمليات التواصلية؟ وما الآليات العصبية التي تتحكم في ذلك؟ وما المشكلات التي تؤثر في اكتساب اللغة وفهمها واستعمالها؟ (١).

ومن هنا تنوعت مجالات البحث في اللسانيات النفسية وقضاياها، مثل: كيفية اكتساب الطفل للغة، وتفسير اختلاف الدال والمدلول بين اللغات، وأسباب الاضطرابات اللغوية، وأمراض اللغة، والعيوب النطقية والكلامية، وسبل علاجها، وعلاقة اللغة بالفكر، وكيفية فهم السامع لما يسمع(٢).

وأهم حقول تخص البحث هنا هي حقول:

"**الدلالة:** حيث يتم فيها استجلاء معاني الكلمات وعلاقتها بالسلوك النفسي عند الإنسان، فضلًا عن التأكيد على أثر الجانب السيكولوجي في رسم طبيعة المفردات وقوتها الدلالية.

التفسير والفهم: تهتم اللسانيات النفسية بدراسة عملية الفهم وتفسير الخطاب عبر عدد من الخطوات، منها: تقطيع الكلام إلى كلمات، وفهمها على حدة ثم دمجها بالمجموع، ثم اتباع الخطوة الثانية في عملية الفهم وهي تحليل الكلام إلى مكوناته البنيوية على وفق الجمل المرتبة ترتيبا بنيويًا، حتى نصل الى المرحلة الثالثة من الفهم على وفق الإفادة من المشعرات الإدراكية نحو: حركات رفع اليد والحواجب،

---

(١) ينظر: علم اللغة النفسي ص ٣٥.

(٢) ينظر: مقدمة في اللسانيات ص ١١٣، ١١٤.

أو التنغيم أو النبر أو الضمائر، ثم الوصول إلى مرحلة الفهم الكامل واستجلاء الدلالة على وقف المنحى النحوي، ومعرفة العالم المحيط بالنص"[١].

فالسياق النفسي الذي يعد أحد أنواع السياق المقامي يُعنى أهم ما يُعنى ببيان أثر العمليات النفسية على بناء الوحدة الكلامية وتحليلها[٢].

القرآن واللسانيات النفسية:

"إن الدلالات النفسية في اللغة لا تنطلق فقط من الأرضية النفسية التي انبنى عليها النص، وإنما من تأثير النص على نفسية المتلقي من ناحية اختيار الألفاظ وبناء الكلمات، أو العلاقة القائمة بين الكلمة والمضمون"[٣].

وهذان الجانبان مهمان جدًا في تحليل النص القرآني، ومعرفة الدلالات النفسية الكامنة وراء الأصوات، والمفردات، والصيغ، والتراكيب.

إن القرآن الكريم بما يتضمنه من إعجاز في تراكيبه اللغوية ليست في طوق البشر، إنما جمع بين المعاني اللغوية للألفاظ في قوالبها وأشكالها وضوابطها وحقائقها وبين المعاني الضمنية في دلالتها النفسية وإثارتها للمشاعر والأحاسيس، ووصولها بالقارئ إلى حالات الإمتاع والارتياح من حيث معايشته للألفاظ و ما وراء تلك الألفاظ من مضامين[٤].

فالقرآن الكريم ليس كتابًا على النمط الكتابي مرتبًا على أبواب وفصول، بل هو كتاب سماوي منظم على الدقائق النفسية، والحقائق الأخلاقية، والحوائج الفطرية

---

(١) مهاد في اللسانيات ص ٢١١.

(٢) ينظر: السابق ص٢٢٩ .

(٣) التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٦٠ .

(٤) ينظر : علم النفس اللغوي ص ١٠٠.

في الحياة الإنسانية، فهو دستور موافق للطبع الإنساني، فدعائمه قائمة على الغرائز الإنسانية(١).

لكن مما لابد منه أن يؤكد الباحث في هذا المقام أن القرآن كتاب لا يخضع للنظريات اللسانية ولا النظريات النفسية، ولكنه يفيد منها إفادات لا تتناقض وقدسية هذا النص، وأنه كتاب يُدرس وفق سنن العرب في كلامها؛ ولذلك اقتصر الباحث في البحث على الأساليب التي لا يكون فيها ليٌ لمعاني النصوص أو تحميلها ما لا تحتمله، وهو ما سيظهر بإذن الله في زوايا الدراسة الثلاثة (المعجم – الصيغ – التراكيب).

ثانيا: الآيات محل الدراسة

أولا: آيات التخيير في سورة الأحزاب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ✽ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨ – ٣٤.

(١) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٢١٧ و ٢١٨ .

تختلف الروايات حول سبب نزول الآيات وتتداخل الروايات مع روايات سبب نزول أول التحريم، لكن الذي عليه الترجيح أنها نزلت لَمَّا أفاء الله على النبي –ﷺ– من أموال بني قريظة فما كان من أزواجه رضي الله عنهن إلا أن طلبن زيادة النفقة، وتمام الرواية عند مسلم [1].

"وترتيب الآيات يلهم بقوة أن هذه الرواية كمناسبة لنزولها هي الأوجه، فالآيات فصل مستأنف لا صلة موضوعية لها بالآيات السابقة، غير أن مجيئها بعدها مباشرة يورد على البال أن تكون مطالبة نساء النبي كانت بعد أن فتح الله على النبي والمسلمين من أموال بني قريظة، والآيتان الأوليان تلهمان أن النبي –ﷺ– كان يعيش في بيته عيشة شظف وزهد، وهو ما أيّدته الروايات التي تبلغ حدّ اليقين كثرة وتواترًا. فلما وسّع الله بما وسّع ظنّ نساء النبي أنه آن لهن أن يَنْعَمْنَ بالحياة وتتسع نفقاتهن فطالبن بما طالبن" [2].

ومن هنا يتبين السبب وراء هذا الميل إلى بعض الزينة متمثلًا في النقاط التالية:

١. القدر الكبير من الأموال الذي حازه المسلمون من غنائم بني قريظة بعد إجلائهم عن المدينة.

٢. كان ذلك بالطبع بعد اختصاص النبي –ﷺ– بخُمس الغنائم يتصرف فيها كما يشاء، وهن أزواجه وأقرب الناس صلة به وربما رأين أنهن أحق الناس بأن يفيء عليهن الرسول –ﷺ– مما هو ملكه ومختص به .

---

(١) لمعرفة قصة النزول تفصيلا يراجع صحيح مسلم (١١٠٤/٢) برقم (١٤٧٨) باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية .

(٢) التفسير الحديث (٢٧٢/٧)، وبمثله قال الطاهر بن عاشور (٩٤٢/٨)، ووهبة الزحيلي في التفسير المنير (٢٩٨/٢١) .

٣. رؤية حال المسلمين الذي تغير بعد هذه الواقعة، فلا شك أن المال زاد في يد المسلمين، وهن من جملة المسلمين، فماذا عليهن لو طالبن بشيء من متاع الدنيا في حل لا حرام!

لكن للبيت النبوي نمطًا في الحياة مختلفًا، فما من تكريم إلا له تبعات، وهن قد كُرمن بكونهن أزواجًا للنبي -ﷺ- فعليهن تحمل تبعات هذا الشرف ومغارمه .

فنزل القرآن ليخيرهن بين الطلاق والانفصال عن البيت النبوي والتمتع بما يردن من الدنيا دون إثم ولا عقاب، وبين الاحتفاظ بهذا الشرف مع تحمل تبعاته، ولكنهن على عهدن من الصدق والإيمان والرضا بما يرضى به الرسول -ﷺ- اخترن البقاء في هذا الشرف وتحمل تبعاته[١].

ثانياً: آيات التظاهر في أول سورة التحريم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾ التحريم: ١ ــ ٥

وأرجح ما روي فيها من أسباب النزول ما رواه البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إِنِّي

(١) لمعرفة المعنى إجمالًا، يراجع: التفسير الواضح (٨٧/٣ وما بعدها).

أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «لاَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»(١).

فغيرة زوجتي النبي -ﷺ- قد جعلتهما تتفقان وتتعاونان على شيء لم يحدث، كل ذلك من أجل أن تستأثرا به بعيدًا عن زينب -رضي الله عنها- ولعل ذلك كان لما تميزت به زينب من علاقة قرب نسب مع رسول الله -ﷺ- مع حبه لشرب العسل عندها(٢).

ومن هنا يتبين أن سبب حدوث الأمر كله مواقف نفسية أدت إلى أن يحدث ما عكر صفو البيت النبوي الكريم، فنزل القرآن مبينًا ومعالجًا ما حدث(٣).

ومن خلال هذا العرض الموجز لمعنى الموضعين وأسباب نزولهما نخرج بعدة حقائق توجه الدراسة وجهة سليمة، منها :

١. أن الدوافع النفسية كانت المحرك الأساس في حدوث الواقعتين، فالميل نحو الرغبة في الاستمتاع ببعض ملذات الدنيا وغيرة بعض أزواجه -ﷺ- هو ما سبب هذين الحدثين .

٢. أن البيت النبوي بيت تتجلى فيه سمات البشرية حتى لو كانت هؤلاء النساء زوجات لأفضل البشر، فهي ميزة لا تخرجهن عن طبعهن البشري الذي قد

---

(١) صحيح البخاري (١٥٦/٦) برقم (٤٩١٢) باب {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم} .

(٢) كانت للسيدة زينب -رضي الله عنها- ميزات عديدة، فقد كانت جميلة تسامي السيدة عائشة، وتعمل وتكسب وتتصدق على الفقراء، وكانت أسخى زوجات النبي -ﷺ-. ينظر: زوجات النبي -ﷺ- ص٥٧ .

(٣) لمعرفة المعنى العام إجمالًا، يراجع: التفسير الواضح (٧٠٢/٣وما بعدها).

يميل أحيانًا، ولكنه بما أودعه الله فيه من الإيمان والتقوى، وبما حباه من شرف الانتساب لبيت النبوة سرعان ما يعود للطريق السليم .

٣. أن في هذه الوقائع عظة وتوجيهًا لباقي المسلمين من خلال عرض الوقائع وبيان دوافعها النفسية، وتوجيهها التوجيه المعالج لدخائل النفس ورغباتها والضبط لميولها ونوازعها .

٤. مكانة الرسول –ﷺ– والتحذير من أي شيء يعود عليه بالإغضاب؛ حتى ولو كان طلبًا مباحًا، ولكنه لا ينبغي أن يُطلب إن كان فيه ما يضايقه، وسيتجلى هذا واضحًا في الدراسة لاحقًا.

المبحث الأول

الدلالات المعجمية للكلمات وإيحاءاتها النفسية

تعد الدلالة المعجمية للألفاظ في أي مدونة لغوية هي الموجه والمرشد الرئيس للمعنى داخل السياق، فالدلالة المعجمية هي التي تختزن جرثومة المعنى وجوهره، ومنها ينطلق اللساني في تحليل التركيب وربط أحد المعاني الكلمة بالسياق والتركيب لتتضح عنده أسس الملائمة بين المعنيين المعجمي والسياقي.

ونعني بالدلالة المعجمية هنا: "دلالة الكلمة التي استخدمت بها في المجتمع مفردة او في تركيب سواء أكان المعنى حقيقيًا في أصل الوضع أو مجازياً منقولاً عن معنى حقيقي ... والدلالة المعجمية لا تعني دلالة كلمة مفردة فقط بل يدخل فيها كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ، فالمعجم يبحث في معنى الكلمة المفردة والتركيب الاصطلاحي، والمثل، والقوالب اللفظية التي تشكل وحدة معنوية، ويبحث كذلك في المعاني السياقية ويذكر شواهد توضيح المعنى السياق"(١).

والروابط اللفظية لها أهمية كبيرة حيث "تأتي في القصة لتؤدي المواقف القصصية أداء دقيقًا فتربط كلًا بما يناسبه، وتكشف عما يتفاعل في نفس الشخصية"(٢)، كما أنها تقرب المعاني القرآنية إلى مداركنا بأوصاف حسية، وتقف بنا على المعاني النفسية(٣).

وكثيرًا ما يكون لحروف مادة الكلمة التي جاءت منها اللفظة جرس صوتي يسهم في إثارة النفس إيجابًا أو سلبًا "أي إن مثل هذه الكلمات تعتمد قوة الجرس

---

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ١٥٧.

(٢) شخصية المرأة ص٣٤١ .

(٣) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٢٥٣ .

الذاتية في بنائها اللفظي أداة للتعبير والإيحاء"[١]، فقد تعبر الكلمة بجرسها عن المعنى أو بظلها، أو بهما معًا[٢]، حيث تتكون الكلمة في التشكيل من حروف ذات صفات معينة تتناغم مع المعنى والجو الذي يدور في إطاره النص[٣].

وفي هذا المبحث نبحث في دلالة بعض الكلمات التي لها إشارات نفسية واضحة، والكلمات التي فيها إيحاءات صوتية مؤثرة، ونكشف عن أسباب اختيارها هنا وكيف لاءمت الحالة النفسية للمخاطبين والأثر الذي يمكن أن تحدثه دلالتها فيهم .

وهذه الألفاظ على نوعين:

أولًا: نوع منها انفردت به كل سورة، وليس في السورة الأخرى ما يقابله أو يوازيه؛ مثل الخضوع في الأحزاب والصغو في التحريم .

ثانيًا: نوع ثان إما جاء مكررًا في الموضعين، أو جاء له نظير في الموضع الآخر من الدراسة؛ كلفظ "أزواج" الذي جاء مرة في الأحزاب، ثم عُدل عنه إلى لفظ نساء مرة أخرى، وجاء في التحريم لفظ "الأزواج" فقط، وكلفظ "أسرحكن" في الأحزاب، والطلاق في التحريم، ونكشف عن الدلالات المركزية والداوعي الدلالية والنفسية لإيثار كل لفظ في موضعه .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى ما أشار إليه أحد الباحثين من "أن الحقيقة التي لا ينبغي أن يغالى فيها أنه: ليست كل لفظة قرآنية يمكننا أن نلمس فيها تلك المعاني النفسية أو أن جميع ألفاظها مشحونة بالمعاني النفسية، إذ القول بهذا لا يخلو من التكلف وتحميل النصوص ما لا تحتمل، وضرب من التعسف، فبعض

---

(١) جرس الألفاظ ص١٦٩ .

(٢) أدبية النص القرآني ص ١١٢.

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ص٥٠.

الألفاظ تبدو فيها المعاني النفسية أوضح من بعض"[١]، وقد يكون السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صِرف أو قُصد بها أساسًا التعبير عن الانفعالات وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات[٢].

ومن أجل هذا وقع الاختيار في الدراسة على بعض الكلمات التي تبدو فيها الدلالة النفسية جوهرية مركزية مؤثرة في تلقي النص وفهمه .

أولًا ما انفرد به كل موضع

١- فلا تخضعن بالقول:

ورد الخضوع هنا في إطار فعل صوتي وقد جعله ابن فارس أصلًا قائمًا برأسه؛ إذ جعل للكلمة أصلين فقال:" الخاء والضاد والعين أصلان: أحدهما: تطامن في الشيء، والآخر: جنس من الصوت، فالأول الخضوع، قال الخليل: خضع خضوعاً، وهو الذل والاستخذاء، واختضع فلان، أي تذلل وتقاصر[٣]، وبعد أخذ ورد رجع بالصوت إلى الدلالة الأولى أيضًا [٤].

أما استاذنا الدكتور جبل فقد أرجع كل ذلك إلى معنى الانحناء فيما من شأنه أن ينتصب، سواء أكان هذا الانحناء ماديًا؛ كالعُنُق الأخضع، والمنكب الأخضع، أم كان معنويًا؛ كالخضوع في الكلام[٥].

---

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٢٥٦.

(٢) اللغة الانفعالية ص٤٣ .

(٣) المقاييس اللغة (خ ض ع)(١٨٩/٢).

(٤) السابق (١٩١/٢).

(٥) ينظر: المعجم الاشتقاقي (خ ض ع)(٥٧٢/١).

فقد جاء القول مقترنا بلفظ الخضوع الذي يوحى بالتمايل والانحناء عن الطريق المستقيم ملائما لتلك الحالة النفسية التي مالت في هذه الحادثة عن الوجهة الصحيحة المتمثلة في ترك زينة الدنيا إلى وجهة أخرى متمثلة في إقبال على الدنيا ومراجعة رسول الله ﷺ في عيشة قد ارتضاها لنفسه ولأهل بيته منذ بدء الدعوة، وهذه الحالة النفسية حالة على غير المطلوب فجيئ بلفظ لم يذكر في القرآن إلا مذموما، فقد ورد الخضوع مذمومًا مرتين: مرة في حقل الشريعة إنذارًا، ومرة بشأن نساء النبي ﷺ إنشاءً"(١).

وفي بنية الصوتية للمادة التي صيغ منها هذا اللفظ ما يدل على تنفير أنفس المؤمنات من هذا الفعل، فلم يأت القرآن بلفظ اللين بما فيه من سهولة، ولكنه اختار لفظ الخضوع بما فيه من قوة حروفه التي تدل على أن هذا الفعل فيه عسر يجاري عسر النطق بحروفه التي تبدأ بالخاء التي على الرغم من همسها ورخاوتها اللذين هما صفتا ضعف إلا أن استعلاءها وتفخيمها أكسبها قوة نوعية قليلة(٢)، ثم تأتي الضاد التي هي أصعب حروف العربية، وهي حرف قوي لما فيها من صفات الجهر والإطباق والاستعلاء والتفخيم(٣)، ثم العين بما فيها من جهر وتوسط، فهي حرف قوي(٤).

ويلاحظ أن الكلمة بدأت بصوت مهموس ضعيف نوعًا ما وهو ما يلائم بداية

---

(١) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته (٣٤٧/١٦)، ويقصد المؤلفون أن المشتق من مادة "خ ض ع" جاء مرتين: مرة إنذار للمعاندين لهذه الدعوة وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ الشعراء: ٤، والثانية التي معنا في الدراسة .

(٢) ينظر: الرعاية ص١٦٨ .

(٣) ينظر: السابق ص١٨٤ .

(٤) ينظر: السابق ص١٦٢ .

الميل الذي قد ينتاب المرأة دون أن تشعر به، ثم ما تلبث أن ترى أثر هذا الخضوع واضحًا في مراحله التالية وهنا تأتي الأصوات القوية الواضحة لتلائم المراحل التالية من بدء هذا اللين بالقول والتهاون فيه، وكما قال شوقي مصورًا تدرج هذا الميل بين الجنسين الذي يبدأ غير ملحوظ وينتهي ملحوظًا، وقد يؤدي لما لا تحمد عقباه[1]:

نَظْـــــرَةٌ فابتِســـــامَةٌ فَسَـــــلامٌ ... فَكَـــــلامٌ فَمَوْعِـــــدٌ فَلِقـــــاءُ[2]

وكذلك في اختيار اللفظ مراعاة للطبيعة النفسية للنساء عمومًا، فالنساء في كلامهن رقة طبيعية، وقد يكون لبعضهن من اللطافة ولين النفس ما إذا انضم إلى لينها الجبِلّي قَرُبت هيئته من هيئة التدلل؛ لقلة اعتياد مثله الا في تلك الحالة. فاذا بدا ذلك على بعض النساء ظن بعض من يشافهها من الرجال أنها تتحبب إليه، فربما اجترأت نفسه على الطمع في المغازلة فبدرت منه بادرة تكون منافية لحرمة المرأة، بله أزواج النبي ﷺ اللاتي هن أمهات المؤمنين"[3]

فهنا قابل الميل النفسي بكلمة فيها ميل وانحناء لكنه زيادة في التهذيب والتربية – إذ إن مقام المقطع كله مقام تربية وتوجيه – أتى بانحناء؛ لينبه على أن هذا الميل ميل ينبغي أن يوضع فقط في مكانه الصواب أما إذا وضع في مكان خطأ فإنه سيؤدي حتمًا إلى النتيجة التالية له ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ الأحزاب: ٣٢، ولا يخفى أن هذا النحو من القول كإبداء الزينة بل هو أشد وآكد في تحريك التمايلات والطمع وان لم يكن لهن قصد سوء"[4].

---

(١) مما ينبغي التنبه له في هذا الموضع أنه نداء للمؤمنين عامة، وليس مقصودًا به أمهاتنا رضي الله عنهن فإنهن منزهات عن هذا .

(٢) البيت من الخفيف، الشوقيات ص٥٠٧ .

(٣)التحرير والتشوير (٨/٧/٩) .

(٤) التحقيق (٨٧/٣).

وقد ساهم هذا التوجيه في ضبط العاطفة وهو ما يساعد على استقرار البناء الأسرى؛ إذ "يمكن أن تساعد العاطفة المعتدلة العقل على الإنشاء والإبداع والتفنن في التماس أساليب النجاح ... ولكنها يمكن أن تتحيز (تميل) لموضوعها وتضغط على العقل وتحول بينه وبين الحق والعدل، وتموِّه عليه بتبرير مصطنع فيه من التماسك الظاهري ما فيه[١]".

فالمرأة سريعة البوح بسرها ولا تقوى على كتمان مشاعرها فغالبا ما تظهر مشاعر المرأة من اللحظة الأولى لظهور هذه المشاعر، سواء أكانت هذه المشاعر في جانب السرور أم جانب الحزن، أم في جانب الدهشة، أم في غير ذلك[٢].

لذا جاء هذا اللفظ ليوحي بأن هذا الميل ينبعي أن يراقَب بالعقل والشرع فقابل ميلاً فطرياً بـ (تطامن) لغوى تحقيقاً لعلاج هذا الميل النفسي.

٢-وقرن في بيوتكن

جاء هذا الفعل بصيغة لم تستعمل إلا في هذا الموضع، وأود أن أشير في البداية إلى أن في هذه الصيغة قراءتين "فقرأ المدنيان وعاصم بفتح القاف وقرأ الباقون بكسرها "[٣]، وهي بفتح القاف أمر من «قرِرَ» المكسور العين، وأصله: اقْرُرْن حذفت الراء الأولى استثقالًا للتضعيف بعد نقل فتحها للقاف، ثم حذفت الساكنين، فحذفت همزة الوصل؛ لاستغناء القاف عنها بالحركة. وقال الزمخشري: أو أمر من "قار، يقار": اجتمع، أو«من وقر يقر وقارا »: ثبت[٤].

---

(١)علم نفس الشخصية ص ١٨.

(٢) التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٥٥٠ .

(٣) النشر(٣٤٨/٢).

(٤) ينظر: شرح طبيبة النشر – النويري (٥١١/٢).

وإذا ما استثنينا رأى الزمخشري؛ لعدم اعتقاده عند جلة المعجميين والمفسرين يصبح اللفظ محتملا جذرين لغويين هما (قرر) و (وقر) .

أما الأصل الأول قد أرجعه ابن فارس إلى أصلين: البرد، والآخر التمكن وعنه يقال قر واستقر[١]

ولعله بتأويل يسير يؤول الأول إلى الثاني؛ لأن هذا البرد يتمكن في الجسم وغيره كما إنه يقلل الحركة فهو سبب من أسباب القرار وعدم الحركة.

ولهذا أرجعه الدكتور جبل إلى ثبات ما من شأنه التسيب وامتساكه في قاع مستدير؛ كقرة القدر، وكالماء في مستقَره، ومن الأصل: قر بالمكان يقر بفتح القاف وكسرها، وأقره في مكانه فاستقر فهذا وضع ثابت متمكن في المكان[٢].

وبمثل هذا قال مصطفوي: تمكن مع استمرار وتثبت[٣] .

ومعنى الكلام: "أي الزمن بيوتكن، ولا تخرجن إلا لحاجة[٤].

وهذا اللفظ يلائم الحالة النفسية المتطلعة الراغبة في التمتع بزينة الدنيا، وهو شيء يقلق النفس السوية، ففي مقابل ما يجلب القلق أتى الله عز وجل في المكث في البيوت بما يدل على الاستقرار والتمكن، ولماذا الجلوس في البيت؟

لأن كثرة الخروج وملاقاة الناس ورؤية تنوع الحياة بين غنًى وفقر ومن زوجات صاحب هذا المجد كله الذي حمله على عاتقه حتى انتقل هؤلاء المسلمين من قلة إلى كثرة، ومن فقر إلى غنى، أفلا تتطلع أنفسهن إلى شيء من ذلك وهن

---

(١) المقايس (ق ر) (٧/٥).
(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي (ق ر)(١٧٥٤/٤/١٧٥٥).
(٣) التحقيق (ق ر) (٢٥٩/٩).
(٤) التفسير المنير (١٠/٢٢).

اللواتي تحملن معه تكاليف الدعوة وعبئها؟ هنا حين تتحرك النفوس عن مكانها الطبيعي ينبغي أن تكون العودة إلى الاستقرار والتمكن فجاء لفظ "وقرن" معبرًا عن التمكن والاستقرار في البيت ليؤول إلى تمكن الأمر النبوي واستقراره في نفس أمهات المؤمنين "وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنه إطلاقا، إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن وهو المقر، وما عداه استثناء طارئًا لا يثقلن فيه ولا يستقررن، إنما هي الحاجة تقضى، وبقدرها، والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله –تعالى–، غير مشوهة ولا منحرفة ولا ملوثة، ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة" [١].

الجذر الثاني : وقر

ننوه أولًا إلى أن هذا الفعل حذفت منه فاء الكلمة التي هي الواو؛ لأن ما كان على فعل وأوله واو يلزم في مستقبله «يفعِل» ويلزمه الإعلال، وهو حذف الواو من المستقبل ك «وعد يعد» و«وجد يجد»[٢].

وقد عد ابن فارس هذا الأصل مما يدل على ثقل الشيء، كوقر الأذن ومنه الوقار: الحلم والرزانة[٣] وهذا هو المعنى المعنوي، لكن الدكتور جبل رده إلى "تجمع بثقل وتمكن في أثناء بدن أو حيز، كالحمل الثقيل في الجوف وكذلك السن والشحم والحمل الثقيل"[٤].

---

(١) الظلال (٢٨٥٩/٥).

(٢) شرح كتاب سيبويه السيرافي (٤٦٧/٤).

(٣) المقاييس (و ق ر) (١٣٣/٦).

(٤) المعجم الاشتقاقي (و ق ر)(١٧٦٢/٤).

وبنحوه رأى العلامة مصطفوي إذ أرجعه إلى "ثقالة تُحْمل على شخص أو شيء ماديا أو معنويا"[١].

وعلاقة القراءتين علاقة تكامل، فالثانية إشارة وعلة للأولى، وهي كما قال الإمام الطاهر ابن عاشور: «يصح أن يكون قِرْن – بكسر القاف – أمرًا من الوقار، يقال: وقر فلان يقر، والأمر منه قِرْ للواحد؛ وللنساء قرْن مثل عِدْن، أي: فيكون كناية عن ملازمة بيوتهن مع الإيماء إلى علة ذلك بأنه وقار لهن"[٢].

فهذا المعنى الذى أشار إليه الإمام الطاهر –رحمة الله– مخاطبة للنفس المتطلعة بان المكث في البيت هو مصدر الوقار لهن، وهو معالجة للنفس التي كانت قلقة متطلعة والحاح إلى أن المكث في البيت والرضا بما في هذا البيت النبوي _على ما في القرار وعدم الخروج من أي مكان من ثقل_ إنما هو دواء النفس والمؤدى لسكونها ووقارها، وليس التطلع ومراجعة رسول الله ﷺ إن كان هذا التطلع مشروعًا لا حرمة فيه، لكنه لما ازعج النبي ﷺ صار غير مشروع ومخالفًا للتوجيه الرباني.

٣- قد فرض الله لكم تحلة

لفظ «تحلَّة» لم يذكر إلا في هذا الموضع من القرآن على الرغم من وجود مشتقات كثيرة من جذره في القران فقد ورد من مشتقاته ٢٧ لفظا و ٥١ مرة في تسع سور مكية و ١٢ مدنية[٣]، لكن هذا اللفظ من مفاريد القرآن الكريم، وأصل الجذر عند ابن فارس يدل على "فتح الشيء"[٤].

---

(١) التحقيق (و ق ر) (١٢/١٩٥).
(٢) التحرير والتنوير (٩/٩).
(٣) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن (١٣/٥٦٣) .
(٤) مقاييس اللغة (ح ل) (٢/٢٠) .

وبنحو هذا قال الدكتور جبل، حيث أرجعه الى «فك ما كان مشدودا، أي مربوطا موثقا، وتسييبه، فيسلس هو أو يسلس أمر ما كان يضمه»[١].

وإلى هذا أيضا مال واضعو المعجم في فقه لغة القرآن فقالوا: «الأصل في هذه المادة الحل، أي فك العقدة، يقال: حل العقدة يحلها حلا، أي: فتحها ونقضها فانحلت»[٢] فالأصل المتفق عليه هنا فك ما كان معقودًا أو ممسوكًا، ومن هنا لا أرى استقامة الدلالة النفسية التي ذكرها أحد الباحثين والتي أعادها الى علاج النطق وحل المشكلات [٣].

والمعنى النفسي الملموح في الجذر هو السعة على النفس ورفع الحرج والضغط النفسي عنها وهو ما نراه في لفظ «تحلة» الوارد في الآية إذ معنى الجملة: قد شرع الله لكم تحليلها، وهو حل ما عقد عقدته الأيْمان بالكفارة وهو من الحل ضد العقد فكأنه باليمين على الشيء؛ لالتزامه عقَد عليه، وبالكفارة يحل ذلك[٤]

فقد وسع الله –عز وجل– على نبيه ما كان ضيقه على نفسه من تحريم جاريته أو بعض الطعام عند زوجته، وهذا التحريم لا شك يحمل قدرًا من الضيق النفسي وتعالجه كلمة التحليل «أكثر من دلالة كلمة الكفارة التي تحمل في طياتها معاني العتاب والمخالفة أو كما عبر أحد الباحثين: تدل على الميل العقلي والنفس والروحي»[٥].

(١) المعجم الاشتقاقى (ح ل ل) (٤٧٧/١).
(٢) المعجم في فقه لغة القرآن (٦٣٦/١٣) .
(٣) ينظر: القاموس النفسي (٤٠٥/١) .
(٤) ينظر: روح المعاني (٣٤٣/٤) .
(٥) ينظر: القاموس النفسي (٩٥٥/٢).

ويدل على هذه السعة ما نقوله نحن في حياتنا للشخص: أنت في حِل من هذا الأمر، أي: حر، لك أن تتصرف فيه كما تشاء[١].

وهذه اللفظة تحمل في دلالاتها النفسية عتابا للرسول ﷺ إذ ضيق ما وسعه الله عليه، ولكنه عتاب المحِب وإشارة خاطفة بأن هذا الضيق جُعِل لك منه سعة في النواحي النفسية والزوجية «وتبيان للمخرج منه (التحريم) بأن يعتبر يمينًا ويكفر عنه وفي ذلك ... إنكار على أي عملية إرضاء لأى جهة بتحريم ما أحل الله»[٢].

كما أن في اختيار هذا اللفظ إيماء إلى أن الغيرة الزوجية جعلت النبي ﷺ في ضيق لكن العناية الإلهية جاءت بالسعة الروحية والبدنية له.

وهنا نلاحظ أن اللفظ على الرغم من أن مادته سهلة الحروف إذ تكونت من الحاء واللام وكلاهما لا عسر فيه؛ لما في الحاء من همس ورخاوة واستفال[٣]، واللام وهي من الحروف الذلق التي "مذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق (و) كثرت في أبنية الكلام"[٤]، لكنه جاء على وزن "تَفعِلة" فبدأت بصوت شديد "اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري معه"[٥] هو التاء؛ ليناسب تدرج الموقف من الشدة إلى السعة التي وسعها الله على رسوله ﷺ من إيجاد مخرج لهذا الأمر .

ولذا نجد أن هذا اللفظ قد راعى السمات والظروف النفسية للمصطفى ﷺ وألمح إلى ما أدت له النفسية الغيرى من ضيق فرجه الله بالسعة على رسول الله ﷺ بأن

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١ / ٥٥٠).

(٢) الأساس في التفسير (٦٠٠٢/١).

(٣) ينظر : الرعاية ص١٦٤ .

(٤) العين (٥٣/١) .

(٥) التحديد ص١٠٧ .

جعله في حرية من الوفاء بما قطعه على نفسه وأن القرآن عدل عن لفظ الكفارة؛ لما فيه من إشعار بمعنى الذنب والمخالفة.

٤- فقد صغت قلوبكما

الفعل «صغى»، وحيد الذكر في القرآن، فلم يرد إلا في هذا الموضع وهذا الوضع وحيد الحدوث في السنة النبوية؛ إذ لم يحدث الا مرة واحدة .

والأصل الذي جاء منه الفعل هو الثلاثي المعتل (ص غ ي) او (ص غ و) وسواء أكان هذا الفعل ناقصًا واويًا أم يائيًا فكلاهما قد أرجعه ابن فارس إلى معنى الميل فقال "الصاد والغين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الميل من ذلك قولهم: صَغْو فلان معك: أي ميله، وصَغَتِ النجوم: مالت للغيوب، وأَصْغى إليه: إذا مال بسمعه نحوه، ومنه قولهم للذين يميلون مع الرجل من أصحابه وذوى قرباه: صاغية"(١).

وقريبا من هذا يذكر الدكتور جبل عن أصل هذا الأمر أنه ميل عن اتجاه الارتفاع إلى جانب؛ كميل الرجل، وميل الشمس، والرأس، وأصغيت إلى فلان: ملت برأسك نحوه(٢).

ولكن العلامة مصطفوي يلمح إلى فارق مهم بين هذه المادة وكل المواد التي تدل على الميل.

يقول مصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد في هذه المادة هو ميل مع عاطفة، وهذا هو الفرق بينها وبين مواد الميل والعطوفة وأمثالها، يقال: صغى قلبي

---

(١) المقاييس (ض غ و/ ي) (٢/٢٨٩).

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي (ص غ و/ي)(٢/١٢٣٨).

وصغى فؤادي، وهم صِغوُ فلان وصاغيته، وأصغى إلى الحديث، إذا كان التمايل مع عاطفة وحنو، ولا بد من لحاظ هذا القيد في جميع موارد استعمالها إلا تجوزًا"[١].

ومن الناحية الصوتية: يحتوي اللفظ على سمات قوية لجل أصواته، فالصاد على الرغم من همسة ورخاوته إلا أنه قوي بالاستعلاء والإطباق، والغين مع رخاوته قوي بالجهر والاستعلاء، وأما التاء ففيها من الشدة ما يجعلها قوية حتى مع همسها.

فأما صفات الرخاوة في الصاد والغين[٢] فإنها تتلاءم مع كون هذا الميل ميلًا معنويًا لا حسيًا؛ إذ لاشك أن المعنوي غير المشاهَد يكون في النفْس أضعف من الحسي الملاحظ، ولكن صفات القوة في الصاد والغين التي هي الاستعلاء في كليهما، والصفير في الصاد زيادة[٣] ثم الشدة في التاء التي نتجت من منع " الصوت من أن يجري فيه"[٤]؛ لاءمت في النهاية شدة ما أدى إليه هذا الميل من موقف عصيب استدعى أن ينزل القرآن معالجًا ومبينًا، ومهددًا، وقد أدت للتنفير من الفعل أقوى من أن لو قيل: "مالت" .

واختيار هذا اللفظ في هذا الموضع ملائم للحالة النفسية التي كان عليها هذا الأمر وذلك التظاهر، وكذلك فيه إلماح إلى الدافع النفسي الذي كان وراء هذا الأمر، وهو العاطفة التي ربما أدت بصاحبها إلى الميل عن النظام الصحيح، ولعل هذا ما يفسر مجيء هذا اللفظ مسندًا إلى القلب؛ لأن القلب محل العواطف والانفعالات، فالميل هنا ميل سببته العاطفة وهي من القلب وكذلك الميل فيه حركة، والحب أيضا

---

(١)التحقيق (ص غ ي) (٦ / ٢٩٨).

(٢)ينظر: الرعاية ص١٦٩ و٢١٥ .

(٣)ينظر: السابق الصفحات نفسها .

(٤)سر صناعة الإعراب (١/٧٥).

حركة، فـ"الحب هو شعور للنفس تسببه حركة الأرواح التي تحضها للارتباط بملء إرادتها بالأغراض التي تبدو مناسبة لها"(١).

وهو أيضا "دافع يميل بكل منا إلى أن تكون له علاقة حميمية بآخر يبادله المحبة ويفهمه ويتجاوب معه"(٢).

ومن نواتج هذا الحب نشأت غيرة زوجتي النبي ﷺ وهذا الشعور يتطلب أن تحتل المكانة الأولى والأهم لدى من تحب وعند من يحبها وترفض رفضًا كاملًا أن تثير لديه امرأة أخرى أي إعجاب أو اهتمام، بل لا يقلقها أن تكون درجة حبه أقل، ولكن يضنيها أقل اهتمام منه لأى امرأة أخرى(٣) .

وهذه الحركة في حد ذاتها تصوير لحركة الإنسان تجاه الفعل المعين؛ إذ لكل تصور شعوري –كما يرى علماء النفس– ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: مرحلة إدراكية، ثم مرحلة وجدانية في النفس، ثم مرحلة نزوعية بالحركة(٤) .

وقد صور هذا اللفظ كل الميل الوارد في القصة:

١. الميل العاطفي الذي أدى إلى هذا الفعل

٢. الميل عن الاعتدال الذي نتج عنه هذا الفعل غير المرغوب

وهو ما عبر عنه الطاهر بن عاشور بقوله: "وفيه إيماء إلى أن فيما فعلتاه انحرافا عن أدب المعاشرة الذي أمر الله به وأن عليها أن تتوبا إلى الله مما صنعناه؛ ليقع بذلك صلاح ما فسد من قلوبهما"(٥).

---

(١) انفعالات النفس ص٥٥.

(٢) سيكولوجيا الحب والحرمان ص١٠.

(٣) ينظر: الغيرة والخيانة ص١٩ .

(٤) ينظر: اللغة الانفعالية ص١١٥ .

(٥) التحرير والتنوير (٦٣٣/١١).

وأشارت كذلك إلى ملمح عاطفي ثالث ذكره بعض العلماء وهو أن المعنى: مالت إلى الحق ومصاحبة الرسول على العطوفة والتحنن وتجنب ما يسخطه وإلى التسليم قِبال أحكام الدين وأصول الديانة الإسلامية ويقابل هذا المعنى التظاهر عليه(١).

فسواء أكان الميل العاطفي الذى أدى إلى ميل عملي غير محمود تمثل في هذه الفعلة أو كان ميلًا عاطفيًا أدى إلى الميل لجناب الرسول ﷺ -وهو غير مرجَّح- فقد أدت جرثومة هذه اللفظة التلاؤم النفسي لكلا المعنيين بما حوته من أصل المادة الذى قيل عنه: "وهذه المادة تدل على الميل"(٢).

وإذا كان اللقط قد راعى كل هذا فهذه أيضًا تعد دعوة "إلى التوبة لتعود قلوبهما فتميل إلى الله"(٣) .

٥- وإن تظاهرا عليه:

هذا الفعل وإن كانت مادته المشتق منها كثيرة الورود في القرآن، فإنه لم يرد بهذه الصيغة (التفاعُل) إلا مرتين(٤)، ونحاول هنا أن نقف على دلالة أصل المادة ومدى ملاءمة هذا الفعل للحالة النفسية للمتخاطبين وهما أمنا عائشة وحفصة -رضي الله عنهن-.

---

(١) ذكر ذلك من المفسرين السنة القاسمي في محاسن التأويل (٢٧٥/٩) ومن الشيعة مصطفوي في التحقيق (٢٩٨/٦) ولم أقف على هذا الرأي عند غيرهما، فهو بهذا ضعيف في الاحتجاج.

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٣٨٨/٨).

(٣) الظلال (٣٦١٦/٦).

(٤) الموضع الأول في سورة البقرة ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ البقرة: ٨٥، وهنا في التحريم الموضع الثاني .

فابن فارس عد الظاء والهاء والراء أصلاً صحيحًا يدل على قوة وبروز، ومن ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورًا إذا انكشف وبرز، ومن ذلك سُمي الظُّهر؛ لأنه أظهر وقت في النهار، وهذا كله من ظهر الإنسان وهو يجمع القوة والبروز(١)

وهذا الإرجاع إلى ظهر الإنسان يوافق فيه الراغب ابن فارس وأنه يستعار لظاهر الأرض ولمن يتقوى به(٢) .

وأما مصطفوي فأرجعه إلى "مطلق بدُوٌّ (ظهور) في قِبال البطون بأي كيفية كان فإن البروز هو ظهور على كيفية خاصة، والبدُوُّ هو ظهور بيِّن قهري"(٣) .

وكل ما جاء منها في القرآن يدل على المعاونة مع التقوية (٤).

ومن التقوية المادية التي أخذت من الأصل: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ التحريم: ٤(٥).

قال ابن سيده: "وتظاهروا عليه– تعاونوا، وفي التنزيل، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾" (٦)

ومعنى الآية: وإن تعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره أو في الاستمرار على حاليكما في صنع مالا يسره(٧)، وأصل ذلك من الظهر؛ لأن المعاون

---

(١) ينظر: المقاييس (ظ هـ ر) (٤٧١/٣).

(٢) ينظر: المفردات ص٥٤٠.

(٣) التحقيق (٢٢١/٧).

(٤) ينظر : المعجم الدلالي لألفاظ القدرة والتمكين في القرآن الكريم (٣٦١/٢) .

(٥) ينظر: المعجم الاشتقاقى (١٣٨٣/٣)(ظ هـ ر)،

(٦) المحكم (هـ ظ ر) (٢٨٩/٤).

(٧) ينظر: الأساس في التفسير (٦٠٠٠/١٠).

يساعد صاحبه بجوارحه، وأقواها ظهره، ثم جُعل عبارة عن كل معاونة وإن كانت بغير الظهر، حتى باللسان[١]

ولعل القرآن اختار هذا اللفظ إشعارًا بقوة الدافع عندهما إلى ما فعلتاه من تعاون عليه واتفاقهما بأن تقول كلتاهما له: «أكلت مغافير» فقد تعاونتا – وقلما تتعاون زوجتان – على هذا الأمر، بما يدل على قوة المحرك وظهور المبرر وهو الغيرة، فجاء اللفظ الدال على فعليهما معبرًا عن ظهور تعاونهما وقوة الدافع في نفسيهما "ونفهم من كلمة غيرَةٍ على نحو أكثر تحديدًا انشغال البال المرتاب الناجم عن فكرةِ أن شخصًا محبوبًا يمكنه أن يؤثر عليه شخص آخر، (فـ)الغيور مستأثر مطلَق ولا يقبل المقاسمة"[٢] .

فالمرأة نفسيًا شديدة الغيرة، ويبرز هذا الطبع أكثر عندما تكون المرأة زوجة أخرى، أي في حالة تعدد الزوجات، فالمرأة في هذه الحالة تكون أشد غيرة، ولعل في سبب نزول سورة التحريم ما يشير إلى هذه الطبيعة، وهذه الطبيعة قد تدفعها إلى التعاون مع غيرها، والتظاهر على زوجها [٣].

من هنا جاء اللفظ الدال على التعاون مشتقًا من مادة تدل على القوة ملاءمة لقوة غيرة هاتين الزوجتين في نفسيها "ففى قصة التظاهر يبرز بعد نفسي مهم في المرأة، ذلك هو ما جبلت عليه من الغيرة"[٤].

---

(١) عمدة الحفاظ (١٦/٣).

(٢) المعجم الموسوعي في علم النفس (١٩٤٤/٤).

(٣) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٥٥١ .

(٤) شخصية المرأة في القصص القرآني ص ٢١٦ .

ثانيا :ما تكرر أو جاء له نظير

المعاني النفسية المتصلة بالكلمات بعضها يمكن تلمُّسه من خلال الألفاظ دون الحاجة إلى سياقها؛ وذلك أنها بمعانيها تشير إلى هذا، وبعضها الآخر يمكن تلمسه من خلال اجتماعها في العبارة، وأحيانا يكون السياق الذي وردت فيه تلك اللفظ أحد أهم الضوابط في استنباط تلك المعاني النفسية[١]، وهنا نبحث عن السياقات التي أثرت في النظم فاختار القرآن في كل موضع نظيرًا مختلفا عن غيره في الموضع الآخر، ومن ذلك:

١- التسريح والتطليق

ورد التركيب الوصفي "سراحًا جميلًا" مرتين في القرآن[٢]، كلاهما في سورة الأحزاب أحدهما في قصة تخيير النبي ﷺ أزواجه.

والسراح من جذر يدل على الانطلاق، قال ابن فارس: "السين والراء والحاء، أصل مطرد واحد وهو يدل على الانطلاق، يقال منه: أمر سريح إذا لم يكن فيه تعويق ولا مطل، ثم يحمل على هذا السراح وهو الطلاق"[٣].

وقد يصاحب هذا الانطلاق انفراج وانبساط في يسر وسهولة؛ كسروح الماشية في الغنم[٤] ويؤدى هذا إلى "جعل الشيء منطلقًا غير متعلق، وهذا المعنى له مصاديق؛ كالانطلاق في المرأة بقطع متعلقات الزوجية، والانطلاق في الشَّعْر بالتسريح

---

(١) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٢٥٦ .

(٢) الموضع الآخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الأحزاب: ٤٩

(٣) مقاييس اللغة (س ر ح) (١٥٧/٣) .

(٤) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (س ر ح)(٩٩٥/٢).

بالمشط، وإخراجه عن التجعد، والانطلاق في الماشية والمال برفع المحدودية عنها في الرعي...، فرفْع قيد التعلق لا بد أن يُلاحظ في كل من: الذهاب، والسهولة، والطول، والخروج، والرعي، والعنق، والانطلاق"[١].

وهذا الانطلاق ورفع التعلق يلائم الحالة النفسية لأزواج النبي -عليهن السلام- فإذا كانت قلوبهن ونفوسهن قد تعلقت بشيء من الدنيا فإيثار هذا اللفظ هنا فيه إشعار لهن بأن هذا التعلق يؤدى الى رفع وإلغاء تعلقهن بالبيت النبوي الكريم.

وأما لفظ التطليق ومشتقاته فكثير الورود في القرآن لكن لم يرد بهذه الصيغة إلا في هذا الموضع وهو من أصل يدل "على التخلية والإرسال"[٢]، أو تسيب ما كان محبوسًا في حوزة أو جوف مندفعا منها بقوة -ابتعادًا وانبساطًا-كالوليد والناقة والأسير، ومن ذلك طلاق المرأة من زوجها[٣]، أو يدل على رفع الحصر، سواء كانت المحصورية طبيعية أو بتقييد ثانوي أو تعهد [٤].

والطلاق في المنظور القرآني النفسي يدل على اضطراب العلاقة الزوجية وانتهائها بين الرجل والمرأة[٥] .

وواضح انه يدل على انتهاء كل أواصر العلاقة في أصل وضعه اللغوي؛ ولذا استعمل في انتهاء العلاقة بين الزوجين وهذا إن كان تبقى فيه بعض أواصر العلاقة لكنه من تحديد الشرع وإعطاء فرصة لإعادة بناء البيت، فلفظ الطلاق يدل على تباعد روحي وبدني وضعف الروابط الروحية والمعنوية والنفسية بين المتطلقين، واستعمال

---

(١)التحقيق في أصول كلمات القرآن (س ر ح)(١١٢/٥).
(٢) مقاييس اللغة (ط ل ق) (٤٢٠/٣).
(٣) المعجم الاشتقاقى (١٣٥٠/٣)(ط ل ق)،
(٤) التحقيق (ط ل ق) (١٣١/٧).
(٥) ينظر: القاموس النفسي (٧٤٣/٧٤٢/٢) .

هذا اللفظ في هذا المقام "نزلت على رسول الله ﷺ تحذيرًا من الله نسائه لما اجتمعن عليه في الغيرة"(١).

وإذا قارنا البنية الصوتية بين الكلمتين سنجد أن ثم تفاوتًا في قوة الحروف بين المادتين "سرح" و "طلق" حيث إن كل حروف "سرح" تتسم بأصوات ضعيفة الصفات سهلة المخارج، فالسين والحاء كل منهما مهموس رخو مستفل(٢) وحتى مع كون الراء يتسم بنوع من القوة النسبية(٣)، لكن بالموازنة يتبين أن صفات الضعف في الأصوات هنا أكثر من صفات القوة .

على حين تتسم "طلق" بصوتين جمعا من سمات القوة الكثير، فالطاء من أقوى الحروف لما جمعه من صفات الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق(٤)، إضافة لما في اللام من جهر وتوسط، فهو صوت متوسط القوة(٥)، والقاف الذي يتصف بالقوة والتمكن؛ لما فيه من الجهر والشدة والاستعلاء(٦).

ويتضح من هذا أن التسريح أخف قوة في اللفظ من التطليق؛ وهذا سيعود على السمع والنفس بتأثير في مدى تقبلها لدلالة اللفظ أو صعوبته على النفس .

وتتضح ملاءمة السياق النفسي من المقارنة بين موضع الأحزاب الذي قال ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الأحزاب: ٢٨ وبين هذا الموضع الذي جاء فيه لفظ الطلاق مباشرًا مقترنا بالتهديد: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ

(١) تفسير القرطبي (٢٣/٩٩) .
(٢) ينظر: الرعاية ص١٦٤ و ٢١١ .
(٣) ينظر: السابق ص١٩٥ .
(٤) ينظر: السابق ص١٩٨.
(٥) ينظر: السابق ص١٨٨.
(٦) ينظر: السابق ص١٧١ .

﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ التحريم: ٥. فلم يذكر القرآن الكريم في الأحزاب لفظ الطلاق؛ لِما له من وقع ثقيل على النفس وهو مالا يحتاج السياق النفسي له هنا؛ لأنه سياق تأديب لا تأنيب؛ ذلك أن حب التملك شعور نفسي غير مذموم في ذاته "فدافع التملك من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان في الأغلب أثناء تنشئته الاجتماعية، فالإنسان يتعلم من الثقافة التي ينشأ فيها ومن خبراته الشخصية حبه لامتلاك المال والعقارات والأراضي والممتلكات المختلفة التي تشعره بالأمن من الفقر وتمده بالنفوذ والجاه والقوة في المجتمع "(١)

والملكية كدافع إنساني تأخذ صورة الإنسان وسماته، وهي واسعة النطاق جدًا وتشمل كل شيء: الناس، والأشياء، والأحياء(٢).

وهذا أمره ذكره الله بأنه مغروس في الإنسان فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝١٤﴾ آل عمران: ١٤

وما كان شأنه هكذا من متعة حلال فأفضل وسيلة له التأديب والتهذيب بكلمات لطيفة رقيقة تعلِّم الإنسان الوجهة السليمة والخلق القويم.

وفي تسمية الطلاق تسريحًا إشارة لما يجب على المسلمين من حسن المعاملة وجمال الكيفية التي يقع بها الطلاق ففيه إيحاء للأزواج العازمين على الطلاق أن يحسنوا معاملة زوجاتهم ولا يسيئوا إليهن(٣).

وبالإضافة إلى اختيار هذا اللفظ الرقيق السليم تأتي المصاحبة اللغوية بين

---

(١) القرآن وعلم النفس ص ٤٣.

(٢) ينظر: دراسات في النفس الإنسانية ص ١٩٤ .

(٣) ينظر: خصائص التعبير القرآني ص٤٢٦ .

"سراحًا" و"جميلا"، فهو تطليق "لا عضل فيه ولا أذى ولا تعنت، ولا رغبة في تعويقهن عن استئناف حياة أخرى جديدة"(١).

وهذا أيضا يلائم السياق النفسي للمخيَّر؛ إذ لا يتصور أن تخير شخصًا ثم تمنحه كلمات صعبة الوقع على النفس تجعله في حالة نفسية صعبة، يتحول معها التخيير الذي هو مصدر راحة للنفس إلى تهديد مبطن يجعل الشخص قلقا مرتابًا.

فقد راعى هذا التعبير الحالة النفسية لأمهات المؤمنين مؤدِّبا لا مؤنبًا، ومرشدًا لا متوعدًا، فهو طلاق حسن مقبول عند النفس دون غصب ولا كراهية؛ لأنه طلاق مراعًى فيه اجتناب تكليف الزوجة بما يشق عليها"(٢).

إن الدافع النفسي في الأحزاب والميل ليس ميلًا محرمًا ولا محظورًا في ذاته؛ لأن أزواجه طلبن من متاع الدنيا ما هو مباح، فالميل إليه مباح؛ لذا جاء الطلاق بلفظ من كناياته؛ لأن المقام مقام تهذيب وتأديب لا مقام زجر وتأنيب إذ لم يطلبن ما يستدعي الزجر والتأنيب .

أما في التحريم فقد دفعتهن الغيرة الى التعاون على رسول الله ﷺ وادعاء ما لم يكن، فالجانب النفسي هنا فيه ميل نحو مخالفة لرسول الله ﷺ مما جعله يحرم على نفسه بعض أزواجه فكان المقام مقام تحذير من الله لأزواج رسول الله ﷺ

فجاءت المفردة القرآنية ملائمة للميل النفسي في كلا الموضعين؛ ولذا لما أدى الميل النفسي هنا الى اضطراب العمل جاءت لفظة الطلاق التي تدل على اضطراب العلاقة بين الزوجين.

---

(١) الظلال (٥/٢٨٧٥).

(٢) ينظر: التحرير و التنوير (٨/٩٤٣).

فالموقف مشهد نفسي مشحون بانفعالات متعددة تدور حول محور انفعالي مركزي يمثل قمة تصاعد أحداث القصة، كما أنه ينهض بتقديم درس متجدد ونموذج لنوع سلوكي أو نمط شخصي يمكن أن يحدث في كل جيل وفي كل مكان(١).

وخير دليل على أن المقام مقام زجر وتهديد ما روي عن سيدنا عمر في هذا الشأن أنه قال: وافقت ربي في أربع ثم ذكر: وبلغني عن أمهات المؤمنين شيء فاستقريت أقول لهن: لتكفُّن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله بكن أزواجًا خيرًا منكن مسلمات، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن؟ فكففت، فانزل الله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ﴾(٢) التحريم: ٥

" أزواج – نساء"

وقد استعملت الأولى في الموضعين، والثانية في الأحزاب فقط.

وأصل "الزوج" يدل على مقارنة شيء لشيء، من ذلك: الزوج، زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها(٣) وعبر عنه الدكتور جبل بأنه: تداخل بين شيء وآخر حتى يختلطا ويشتبكا ويرتبطا معًا، ولا يقال للشيء زوج إلا وهو مرتبط بآخر ارتباطًا ماديًا أو معنويًا(٤).

ويرى أحد الباحثين أن كلمة "الزوج" تدل من المنظور النفسي على العلاقة

---

(١) شخصية المرأة ص١٥٢.

(٢) رواه أحمد في حديث طويل برقم (١٦٠) مسند عمر بن الخطاب (١/ ٢٩٩) .

(٣) ينظر: المقاييس (٣/٣٥) (ز و ج).

(٤) ينظر المعجم الاشتقاقي(٢٨٧٨) (ز و ج).

الشرعية[١] التي تتم بين الذكر والأنثى، والتي تتسم بنوع من الاتصال والتوافق الكبير في الجوانب المختلفة وإشباع الحاجات لكل من الزوجين مع مراعاة عدد من الحقوق والواجبات[٢].

إن هذه الكلمة تشير في أصل دلالتها إلى نوع ارتباط وهو ارتباط مقصود منه الارتياح النفسي والبدني؛ ولذلك قال الله عنه ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩ أي ليستأنس بها ويطمئن إليها[٣]؛ ولذلك جاء ذكرها هنا تعريضًا بما أحدثه أزواجه ﷺ من أثر نفس لا يلائم معنى الزواج.

أما نساء فلعل الراجح أن اشتقاقها من (ن س ي) أو (ن س و) وقد تداخل الأصلان ليشكلا معًا أصلًا واحدًا، وقد عزا ابن فارس المعنى إلى أصلين يدل أحدهما على ترك الشيء والآخر على إغفاله[٤]، وكلا المعنيين فيه ترك إن تعمدًا وإن بلا تعمد. وقد رأى مصطفوي أن هذه الكلمة مأخوذة من الآرامية والعبرية والسريانية، وأن آحادها لا بد وأن تكون في تلك اللغات[٥].

وبالرجوع إلى القاموس المقارن يتبين أن في العبرية (ن ا ش ي م) بمعنى نساء وأن مفردها (إ ش اه) بمعنى أنثى[٦].

---

(١) كانت الكلمة معروفة قبل الإسلام لكنها في القرآن لم تستعمل مع نساء غير المسلمين مثلا، ففي القرآن: امرأة فرعون، امرأة نوح، امرأة لوط، ولعل هذا ما دعا الباحث إلى ربط المعنى النفسي بالمعنى الشرعي .

(٢) ينظر: القاموس النفسي(٥٢٩/١).

(٣) روح المعاني (١٢٩/٥).

(٤) ينظر: المقاييس (٤٢١/٥) (ن س ي).

(٥) ينظر: التحقيق (١٢٣/١٢).

(٦) ينظر: القاموس المقارن ص ٥٢٧.

ويبدو أنها تشير نفسيًا إلى تلك الخواص والرغبات النفسية التي تخص هذا النوع من البشر؛ لذلك نجدها تستعمل فيما يخص النساء عمومًا، وأيضًا تحل محل لفظ " الزوج"، حينما تكون الآيات تتحدث عن ظاهرة عامة قد تحدث من أي امرأة زوجة أو غير زوجة ولكنها تكون وقتها صالحة للزواج "ويكون اللفظ في أصله خاصًا باللاتي بلغن المحيض والحمل؛ ولذا لا تطلق في الذوق العام على الصغيرات قبل الحيض وهو صحيح" (١).

فالكلمة تشير الى النوع الأنثوي وتشير مباشرة إلى النساء المكتملات في أنوثتهن الناضجات؛ ولذلك جاءت فيما يخص الحيض والزواج والطلاق والزواج والجاذبية الجنسية المثيرة للشهوة (٢).

وإذا تأملنا القصتين في السورتين وجدنا التالي:

١- افتتحت القصة في الاحزاب بلفظ «أزواجك» .

٢- كل ما جاء بعد ذلك وجه النداء إلى أزواجه لكن بلفظ « نساء».

٣- كل ما جاء في التحريم بلفظ الأزواج ولم تذكر النساء أبدا.

والذي يبدو لي أن ذكر الأزواج في أول الأحزاب وأول التحريم كان لإشارات عديدة منها :

أ - خصوصية هذا الحكم بالبيت النبوي؛ وأن الآيات تناقش وتحلل شأنًا خاصًا.

ب- بيان سبب الإشكال، وهو الزوجية وما يستتبعها من حقوق وواجبات.

---

(١) المعجم الاشتقاقي (٤/٢١٨٤) (ن س ء).

(٢) ينظر: بنظر القاموس النفسي (٢/١٠٦١) .

ج – إشارة إلى الدافع النفسي في الأمرين وهو أنهن ما فعلن ما فعلنه إلا لأنهن يشعرن بمكانة تؤهلهن لفعل ذلك، أو طلب ذلك، وهو أنهن أزواجه وأقرب الناس إليه وأحق الناس بالسعة في الرزق وبالاستئثار بقربه ومودته؛ ولذلك جاءت اللفظة في الافتتاحين مضافة للضمير العائد إلى حضرة صاحب المقام العالي ﷺ.

د - إظهار نفسيته ﷺ الشفيقة الرفيقة.

وفي هذا يقول الرازي عن وجه تعلق الآيات بما قبلها: "وجه التعلق هو أن مكارم الأخلاق منحصرة في شيئين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: "الصلاة و ما ملكت أيمانكم"(١)، ثم إن الله –تعالى–لما أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب التعظيم الله بقوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب: ١ ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة، وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة؛ ولهذا قدمهن في النفقة(٢)، وفي التحريم اعتذار للنبي ﷺ وبيان علة فعله وهو أنه أراد خيرًا وهو رضا أزواجه؛ لأنه أعون على المعاشرة(٣).

أما الذكر في ثنايا القصة ففي الأحزاب كانت جميعها لذكر النساء وليس الأزواج، وذلك إشارة إلى أن ما سيذكر هو شأن عام لتربية النساء وتهذيب نفوسهن، يقول الشيخ أبو موسى: "فإن موضوع هذا الخطاب يعالج قضية من أعضل القضايا التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية وهي قضية الأخلاق وسلوك النساء؛ ولذا آثر هنا لفظ النساء ولم يذكرن بلفظ الأزواج"(٤).

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد وغيره، وهو عند الإمام أحمد (٢٠٩/١٩) برقم (١٢١٦٩) مسند أنس بن مالك –رضي الله عنه–.

(٢) مفاتيح الغيب (١٦٥/٢٥) .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٦٢٥/١١) .

(٤) من أسرار التعبير ص ٢٦٣.

فهذه القضايا التي ستذكر بعد ذلك من دعوة إلى عدم الانحراف وترك الخضوع والتبرج كلها أمور لا نماري في أنها لا تصدر من أمهاتنا –عليهن السلام– ولكنه إشارة إلى تقنين وعلاج وتأطير طبائع المرأة السيكولوجية في إطار سليم.

فالمرأة تهتم بالحب والحوار والجمال والعلاقات الاجتماعية، وترى كيانها من خلال المشاركة في الحياة، وكذلك الحوار يمثل للمرأة شيئا أساسيًا، وهو أكثر أهمية من تحقيق هدفٍ ما أو النجاح في موضوع ما، فالحوار المستمر يشبع رغبة المرأة[1]؛ ولذلك سنرى صدى كل هذه الطباع وبيان الصحيح منها والخطأ واضحًا في آيات التخيير.

أما بالنسبة إلى سورة التحريم فإن كل ما حدث من مشكلات مما ناقشته السورة سببه شيء واحد هو غيرة الأزواج وما نتج عن هذه الغيرة من تعاون غرضه استئثارهن به ﷺ عن بعض أزواجه أو إمائه[2].

إن هذه الغيرة قد أدت إلى مواقف غير محمودة لذلك كان التركيز على ذكر اللفظ في كل الأنماط التي مرت عليها السورة، ومن هذه الأنماط:

أ– نمط التماس العذر للنبي ﷺ " أزواجك " .

ب– نمط بيان القصة " أزواجه"

ج – نمط التهديد لهن على ما فعلن "أزواجًا" .

إن الزوجية وما لها من دوافع الغيرة كانت هي السبب النفسي الكامن وراء القصة؛ ولذا جاء اللفظ مشيرًا إليها، كما جاء ليحدد الضوابط السليمة .

---

(١) ينظر: سيكولوجية الرجل والمرأة ص ٦٤.

(٢) هذا الشك بناء على الاختلاف في سبب نزول الآيات .

والضوابط وإن كان البعض يراها أمرًا فطريًا مثل الدوافع، فهي لا تنمو بمفردها دون معونة خارجية، وقد شاءت حكمة الله -تعالى- أن يرعى البشرية كلها لينمي فيها هذه الضوابط، بالرسل والرسالات، وإلا فلن تأخذ صورتها السوية السليمة الكاملة(١).

فقد صور لنا اللفظ الحالات النفسية وكذلك صور لنا أنه كان ينبغي لهن أن يكنَّ على سمت ما تدل عليه لفظة "الزوجية" من اتساق وانسجام وهو ما لم يحدث؛ لذا توعدهن في النهاية بإبدال رسول الله أزواجًا خيرًا منهن، وقد أضفى عليهن كل الصفات التي تزين الزوجة وكل الصفات التي تمثل كل واحدة منها عامل نجاح واتساق وانسجام في الزواج.

"القنوت – والتوبة"

جاء الشرط في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الأحزاب: ٣١ مطالِبًا بالقنوت لله -تعالى- وللرسول ﷺ، بينما جاء الشرط في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤ مطالِبًا بالتوبة، ولا بد من البحث أولاً عن دلالة اللفظين، ثم سر الاختيار في كل موضع ودلالته النفسية.

قنت

وهو كما رأى ابن فارس أصل يدل على طاعة وخير في دين، والأصل فيه الطاعة، ثم سمى كل استقامة في طريق الدين قنوتًا(٢).

---

(١) ينظر : دراسات في النفس الإنسانية ص٢١٠ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة (٣١/٥)(ق ن ت).

ويزيد المصطفوي الأصل إيضاحًا فيقول: "والتحقيق: أن الأصل الواحد في المادة: هو خضوع مع طاعة، وقلنا في الخضوع: هو مواضع[١] مع تسليم، وفى الطاعة هو العمل بالوظيفة مع رغبة وخضوع، ففي القنوت خضوع أشد منهما، فلا بد من لِحاظ القيدين في المادة، وأما مفاهيم: الطاعة، الخشوع، الصلاة، العبادة، القيام، الذل الانقياد، السكون، الدعاء، الإمساك، الخضوع، الانقياد، طول القيام، والطاعة، التواضع، فلا بد من وجود القيدين، وإلا فيكون تجوزًا ثم إنَّ القنوت تكويني، وتشريعي إرادي"[٢].

وفي هذا اللفظ فيه من الهدوء النفسي والارتياح بالطاعة والاتباع لما أراده النبي ﷺ؛ لأنه طاعة لله وللرسول، وليست أي طاعة بل كما قيل:" القيام بالمراد على وجه الانقياد"[٣] أي يخضع لله الخضوع التام ويخشع ويتذلل لله في دعائه[٤].

أما التوبة فتكاد تتفق كلمة اللغويين والمفسرين على أن أصل التوبة الرجوع[٥] ولذلك فهي من الناحية الشرعية تدل على رجوع عن ذنب أو خطأ معين اقترفه الإنسان، وهذا الرجوع يدل على "عملية نفسية عقلية روحية تتمثل في تقويم ومراجعة السلوك وتعديله في الاتجاه الإيجابي"[٦]، فهي لا تمثل للنفس رجوعًا عن الموقف

---

(١) هكذا في الكتاب، ولعل الصواب: توضُع .

(٢) التحقيق (٣٥٩/٩).

(٣) درج الدرر (٢٧٩/١).

(٤) تفسير الشعراوي (١٢٠١٣/١٩).

(٥) يراجع مقاييس اللغة (٣٥٧/١)(ت و ب) تفسير القرطبي(٣٣٤/١) مفاتيح الغيب(٤٦٨/٣) والتحقيق(٤٣١/١).

(٦) القاموس النفسي (٣٣٧/١).

عمومًا وإنما رجوع إلى الاتجاه السليم الذي كان ينبغي أن يكون الحال عليه قبل ورود هذا المورد الخطأ.

فالإنسان ضعيف في تكوينه العام، وهذه حقيقة نفسية يحسها الإنسان في قرارة تكوينه.... والمنهج الإلهي هو الذي يجعل الإنسان –على الرغم من ضعفه أمام بعض ميوله الجامحة ورغباته الطائشة– يستخدم عقله وإرادته في الضبط الذاتي، ويجعل من الإيمان بالله رقيبًا على عقله وإرادته ودوافعه، فلا يذل أمام هوى ولا يقع صريع الشهوات(١).

وتعديل السلوك هو عملية تقوية السلوك المرغوب فيه من ناحية، وإضعاف أو إزالة السلوك غير المرغوب فيه من ناحية أخرى(٢).

وبالمقارنة بين الموضعين والدافع النفسي وراءهما يتبين سر اختيار لفظ "القنوت" في آيات التخيير و"التوبة" في آيات التظاهر، ففي الأحزاب لم يكن ما طالبن به ذنبًا؛ إذ إن حب السعة أمر نفسي لا مشكلة فيه ولا ذنب منه، ولكنه مخالف لما ارتضاه رسول الله ﷺ من طريقة للعيش في بيوته ولذلك كان الجزاء الأجر مرتين ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ الأحزاب: ٣١، عوضًا عما ارتضين تركه من أموال الحياة الدنيا.

أما في التحريم فقد أدت الغيرة إلى فعلين يستدعيان الرجوع، ويمثلان ميلًا عن المنهج، واتباعًا لرغبة نفسية متمثلة في الغيرة ودواعيها، فكان الطلب هو الرجوع أصلا عن هذا النهج والعودة إلى النهج السليم .

---

(١) لمحات نفسية في القرآن الكريم ص٩١ .

(٢) المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك ص١٨ .

المبحث الثاني

الدلالة الصرفية وإيحاءاتها النفسية .

علم الصرف: هو العلم الذي من خلاله نتعرف على الطريقة المثلى لصوغ الألفاظ من أصواتها وفق قواعد استقرت عند الصرفيين، ويعد الخروج عنها أحيانًا لحنًا، وأحيانًا يعد خطأ في اختيار الصيغة الأمثل للموقع الأمثل، ذلك أن الصيغ الصرفية لا تمثل قوالب لصوغ الألفاظ فحسب، وإنما تحمل شحنات دلالية زائدة عن الدلالة اللغوية فـ "عالِم" لا تساوى في الدلالة "عليمًا"، و"شاكر" لا تساوى "شكورًا".

يقول الدكتور البركاوى: «يشكل النظام الصرفي المورفولوجي عنصرًا من أهم العناصر التي يتكون منها النظام اللغوي، ويحتل هذا النظام مكانًا وسطًا بين النظامين الصوتي والنحوي، ويرتبط بكل منهما ارتباطًا وثيقًا، وتُعنى عملية التحليل اللغوي على هذا المستوى ببيان الوحدات الصرفية التي تتكون منها الاشكال المختلفة للرموز اللغوية (الكلمات) في لغة ما، كما يقتضى هذا التحليل التعرف على أنواع هذه الوحدات والوظائف التي تقوم بها»[(١)].

والغرض من كل ذلك إنما هو «معرفة بنية الكلمات ومعانيها خلال استعمالها»[(٢)].

إننا نرى في النص استعمالًا لأسماء، وأفعال، وتنوعًا لصيغ الأسماء، وأزمنة الأفعال، وبنيتها بين التجرد والزيادة، وأحيانًا يعْدِل عن صيغة الى صيغة، وعن زمن إلى زمن «ولا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة؛ إذ كل عدول من صيغة إلى صيغة أخرى لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة»[(٣)].

---

(١) مدخل إلى علم اللغة الحديث ص ١١١.

(٢) مستويات التحليل اللغوي ص ٩٣.

(٣) معاني الأبنية ص٦ .

ونحاول في هذا المبحث أن نستجلى الأثر النفسي لدلالة الصيغ أسماءً وأفعالًا في الموضعين محل الدراسة

أولا : الأفعال ودلالاتها النفسية:

الفعل في أوضح مفاهيمه حدث وزمن، هذا الحدث ذو دلالة معينة مصوغة في بنية صرفية معينة وهذه النسبة تحمل في طيتها ثلاثة أمور: المعنى اللغوي، المعنى الصيغي، الدلالة الزمنية؛ ولذا سيكون الحديث هنا في نقطتين هما:

١ - زمن الفعل وأثره في الدلالة النفسية

تقسم الأفعال في دلالتها على الزمن إلى: ماضٍ وحاضر ومستقبل، والشائع أن الزمن الماضي له الفعل الماضي للدلالة عليه، وأن الحاضر والمستقبل لهما المضارع، وأن الأمر يكون في المستقبل الذي يحتاج فيه إلى إحداث مطلوب غير موجود وقت الكلام.

ولكن الواقع الاستعمالي لا يقول بهذا على الدوام؛ فكم وجدنا من الماضي الذي عبر به عن المستقبل كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ النحل: ١ وغيرها، ولذلك «فإن السؤال الذى يثار هنا هو: أين يكمن الزمن في اللغة العربية؟ أهو ذو خاصية صرفية، تعبر عنه صيغ Tenses ثابتة في الجدول الصرفي؟ أو أنه نحوي لا يمكن تعيين حدوده وجهاته إلا من خلال معطيات السياق وتشابك القرائن فيه؟ أم هو مادة غير مستقرة في بنية العربية ولا يعدو أن يكون وقتاً Time معلومًا بالدلالة التي تنص عليه نصًا من خلال معنى المفردة المعجمي والمعنى الزمني الذى يترسخ عن التركيب، والمعنى الذي يشمل عليه سياق الحال Contexts situationوبذلك يخرج الزمن في العربية من سمة النمطية؟»[١].

---

(١) الزمن واللغة ص٢١، ٢٢.

ولذلك فإن استعمال كل زمن في الخطاب يكون له دلالة معينة أدت إلى استعماله في غير سياقه المعهود، وهذا ما يسمى بالعدول أو مخالفة مقتضى الظاهر، وهو على أنواع، منها: التي يؤتي فيها بإحدى صيغ الفعل الثلاثة مكان الأخرى في ظاهر التركيب لنكتة معتبرة لدى المتكلم(١)، وقد لا يكون ثم عدول في استعمال الفعل بمعنى أن الكلام جاء على وفق النمط المعتاد إلا أن لهذا المجيء على هذا النمط قيمًا دلالية معتبرة، اقتضت عدم العدول أو عدم مخالفة مقتضى الظاهر.

في هذه الصفحات نحاول استجلاء الدلالات النفسية والسياقية لمجموعة الأفعال في موضعي الأحزاب والتحريم.

أ – تناوب الفعل بين الماضي والمضارع وأثر ذلك في الدلالة

دلالة الماضي وآثاره النفسية:

نلاحظ في سورة الأحزاب أولاً أن الشرط في الآية الأولى من آيات التخيير جاء على النمط التركيبي التالي:

إنْ + كان الناقصة + المضارع

إن كنتن تردن.

ومعلوم أنه كان من الممكن أن يقال إن تردن مباشرة، أو إن أردتن، بلا «كان» الناقصة، ولكن هذا لم يكن ليعطي المعنى المراد على وجه الدقة؛ إذ كما يرى أحد اللغويين أن «كان» إذا جاءت مع المضارع تدل على استمرار الحدث في فترة من

(١) ينظر: بلاغة القرآن الكريم في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل ص ١٢.

الزمان الماضي[١] أو ما سماه أحد الباحثين بالماضي المتجدد الذي يدل على وقوع الحدث مرات عديدة في الماضي وانقطاعه فيه[٢] .

وكلام البلاغيين حول مجيء الماضي شرطًا لـ«إن» يدور على قاعدة أساسية هي تأكيد الوقوع وأن ما هو للوقوع كالواقع، ويقوم تحليلهم للأفعال وتحليل المفسرين كذلك على هذا الأصل[٣].

يقول الشاطبي: "سبب الإتيان بالماضي أمر معنوي، وهو تحقق الأمر وأنه صار في الاعتقاد كالواجب"[٤].

ومن هنا يمكن أن يقال: إن مجيء الماضي هنا يدل على حالة الميل نحو بعض متاع الحياة الدنيا حينًا، وحالة الميل نحو ما يرضي الله ورسوله حينًا آخر، وكأن النفس في صراع، فمن ناحية هناك الرغبة في بعض متاع الحياة الدنيا و ما هو بشيء حرام، ومن ناحية أخرى لا يردن أن يكون ذلك سببًا لإغضاب الله ورسوله، وهكذا تذهب النفس بين هذا وذاك، هذا مرة وذاك مرة، وهذا من طباع كل الأنفس البشرية المحبة لدينها والمتشوقة أيضًا إلى بعض الراحة من عناء الدنيا من خلال زيادة بعض النفقات، وهذا الحادث أو الصراع داخل النفس لم يحدث ولا يحدث مرة واحدة، ولكنه متكرر الحدوث، ومن هنا يتبين أن المضارع الذى جاء مع كان لا يدل على الحاضر أو الاستقبال بل على التجدد في الإرادتين الذي يدل على حدوث هذا مرة وذاك مرة وهكذا.

---

(١) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية ص٥٦.

(٢) ينظر: الدلالة الزمنية للفعل كان في القرآن الكريم ص١٠٦.

(٣) بلاغة القرآن الكريم ص ٣٥٧.

(٤) المقاصد الشافية (١٢٦/٦).

فصيغة المضارع الذي هو ممثل في صيغة "تفعل" وما اشتق منها يتبين هنا أنها لا تدل على زمن معين، وإنما تدل على التجدد لما يشمله من الاستمرار والتكرار والتأكيد في حدوثه مرة بعد مرة مع عدم إغفال دور السوابق واللواحق في أداء هذا المعنى(١).

وقد أفادت كان الدالة على المضي تقييد هذا التجدد، ولكنه تصوير لحالة استمرار وتجدد في الزمن الماضي والدليل على أنها كانت تصويرًا للماضي أنهن جميعا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ففي الحاضر زالت حالة التذبذب والاستمرار بين حالتين إلى الاستقرار في حالة واحدة فمعنى ذلك أن هذا التركيب أفاد «الماضي المستمر المنقطع إلى جوار جهة الحدث في البعد المستفاد من كان»(٢).

وهكذا «فلم تقتصر (الآيات) على نفى الدنيا وزينة الدنيا عنهن، بل نفت الأمل في ذلك أيضًا إلى آخر الدهر وأماتت معناه في نفوسهن بقصر الإرادة منهن على هذه الثلاثة: الله في أمره ونهيه، والرسول في شدائده ومكابدته، والدار الآخرة في تكاليفها ومكارهها، فليس هنا ظَرْف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ولا اعتبار لمزاجها، ولا زلفى لأنوثتها؛ ثم هو تخيير صريح بين ضدين لا تتكون بينهما حالة تكون منهما معًا»(٣).

ب - استعمال الماضي في أعد واعتد في جواب الشرط:

أعد الشيء هيأه وأحضره واعتده اجتهد في إعداده(٤).

---

(١) ينظر : اتجاهات التحليل الزمنى ص ١٠٤،١٠٥.

(٢) السابق ص١٠٧.

(٣) وحي القلم (٥١/٢).

(٤) ينظر: أبنية الافعال ص٢٦٦..

جاء جواب الشرط المشير إلى التقوى الجواب[١] في صورة الماضي في قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ ﴾ الأحزاب: ٢٩ وفي قوله: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾ الأحزاب: ٣١ مع أن الأصل في جواب الشرط أن يكون مستقبلًا أو جملة ذات دلالة على الاستقبال «وإذا قلنا بدلالة هاتين الأداتين على الاستقبال فإن ذلك ليس مطلقًا فيها إذ إن لكل منها (إن وإذا) مواضع تدل فيها على الزمن الماضي»[٢]

وقد وقع هنا جوابًا للشرط على صورة الفعل الماضي، وهذا كما عده ابن جنى يعد «تحقيقًا للأمر وتثبيتًا له، أي إن هذا وعد مُوفًى به لا محالة كما أن الماضي واجب ثابت لا محالة»[٣]. وفي إبراز الأجر والرزق في صورة الذي أُعِد وفرُغِ منه هو وسيلة من وسائل التأكيد وإثارة الدافع نحو هذا الهدف، إذ هو مهيأ وما على أزواجه ﷺ إلا أن يسِرن في هذا الطريق ويخترن الله ورسوله والدار الآخرة فيصبح هذا الرزق كأنه في حوزتهن.

إن هذا يمكن أن يدخل تحت ما يسميه التداوليون القوة الإنجازية ومفادها أن الفعل الكلامي يمتلك أغراضًا إنجازية متباينة تباين ملابسات استعماله[٤] وتدخل تحت علامات قوة القوة الإنجازية[٥] وكل هذا يصب في جانب التهيئة النفسية للامتثال للأمر واختيار ما يرضاه الله ورسوله وإن كان فيه مشقة.

أما في التحريم فقد تكرر الماضي كثيرًا. نتوقف عند فعلين منها؛ لأن ما في الآية الثالثة جاء حكاية لقصة مضت فناسبها الماضي.

---

(١) المعطوف في حكم الجواب أيضاً.

(٢) بلاغة القرآن ص٩٠.

(٣) الخصائص (٣/٣٣٤).

(٤) ينظر: النص والخطاب والاتصال ص ٢١١.

(٥) ينظر: السابق ص١١٨.

أما الفعل الأول فهو ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ ...﴾ التحريم: ٢ والمعنى قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهى الكفارة، أو قد شرع الله لكم تحليلها بالكفارة[١]. وهنا تتعاضد الدلالتان: اللغوية والصرفية لتأكيد المعنى المراد؛ إذ عبر بالفرض حثًا على قبول الرخصة إشارة إلى أن ذلك لا يقدح في الورع، وهو تخفيف على الأمة وتعظيم لهذا النبي[٢]، والغرض من هذه الدلالة على الزمن الماضي تطمين نفس النبي ﷺ بأن ما حدث يمكن التراجع عنه؛ لأنه قد سبب له حرجًا وضيقًا بمنع بعض ما أباحه الله عليه ورسالة له بأن الأمر باقٍ على ما هو عليه مما شرع في تحلة الأيمان ولا تشريع جديد في هذه الواقعة إذ «تعبر جملة الماضي على حدث وقع في الزمن الماضي وأنجز واستمر على حاله حتى زمن الكلام عنه»[٣] وهذه بشرى للنبي ﷺ وتفريج عن نفسه ﷺ.

وأما الفعل الثاني فقد جاء في حق أزواجه -رضي الله عنهن- ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤

وهذا الفعل الدال على حدث مؤكد في صيغته الماضوية هو عتاب وتذكير لهن بسبب مطالبتهن بالتوبة، أي فقد حدث منكما في قصتكما ما يوجب التوبة والأوبة إلى الله تعالى، وهي دعوة إلى أن تترك نفوسهن هذه الغيرة التي أدت إلى الميل عن الجادة وكشف أنه ما زال في نفوسهن بعض هذه الغيرة التي أدت إلى الميل عن الحق إذ إن هذه الصيغة (قد + الماضي) تدل على الماضي المنتهى بالحاضر وفي دلالة على حدوث فعل في زمان قريب من الحاضر[٤]، وكل هذا التأكيد

---

(١) الأساس (١/٦٠٠٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر(٢/١٨٣).

(٣) الدلالة الزمنية ص ٤٦.

(٤) ينظر: الدلالة الزمنية ص ٤٩

بالأداة والزمن الماضي هو نوع من ارتفاع وتيرة العتاب في الآيات لأزواجه؛ ليعلمن أن غيرتهن قد أدت إلى مالا يحمد عقباه.

فبناء "فَعَل" يدل على حدث تم وانتهى قبل وقت الحديث عنه، لكن أثره لما يزل قائمًا[١] .

ج - المضارع ودلالته النفسية:

من الناحية المنطقية الوضعية يدل المضارع في أصل وضعه على الحاضر أو المستقبل، ولكن السياقات الاستعمالية تظهر أن المضارع قد يدل على المضي أو يأتي فيما كان ماضيًا من الأحداث كما في قوله تعالى ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ هود: ٣٨ فهو حديث عن قصة نوح عليه السلام التي كانت في عهود البشرية الأولى في ماضٍ سحيق، ولا شك أن استعمال المضارع في هذه الأساليب له ما يبرره ويقويه ويؤثر في دلالة الأفعال وتراكيب الجملة ودلالاتها، ومن ذلك ما يلى:

١ - استعمال المضارع في الشرط والجواب:

وقد جاء ذلك في الآيات محل الدراسة ممثلًا في:

(من يأت – من يقنت – إن تتوبا – إن تظاهرا)

وجاء الجواب مضارعًا فيما يلي: (يضاعف – نؤتها)

إن الأصل في الشرط أن يكون طرفاه دالين على الاستقبال؛ لأنه يتكلم عن أمر معلق على أمر في المستقبل «وهذا هو الأصل في الباب والحقيقة إذ الأصل مطابقة اللفظ للمعنى، والمعنى مع هذه الأدوات على الاستقبال فالمطابقة أولى»[٢].

---

(١) ينظر: اتجاهات التحليل الزمنى ص ٢٢.

(٢) المقاصد الشافية(١٢٧/٦).

وهذه هي الحالة الأساسية للجملة الشرطية[١] وذلك أن حقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مسببًا عن الأول[٢] وإذا كان الأمر كذلك فإن الشرط هنا جاء مضارعًا لعلة نفسية ولفتة مهمة، ولعلها جاءت هنا لما سماه أحد الباحثين بالتهييج، وحقيقته الهاب نفس المخاطب (وهن أزواجه ﷺ) وتحريكها بأسلوب الشرط لكون الشرط هنا يقتضي تعليق شيء على شيء (لدلالة المضارع على الاستقبال لا الإنجاز في الحدوث) فيفيد كون مضمون الشرط غير موجود تحريك النفس وتهييجها نحو القيام بالشرط لتحقق الجواب[٣]

إن استعمال المضارع هنا يعطى إشارة الى أن الأمر يحتاج منهن إلى سعى وعمل وأنه ليس مضمون الوقوع سواءً في شرطي الخير: من يقنت أو إن تتوبا، أو في شرطي السوء: من يأت منكن بفاحشة / وإن تظاهرا عليه.

وفيه بيان أن الأمر كله متعلق بسعيهن وعملهن، حتى لو كنَّ أزواج رسول الله ﷺ ويدل كذلك المضارع هنا إلى الدعوة الى مجاهدة النفس وتعهدها بالرقابة والمحاسبة حتى لا تعود إلى ما حدث؛ وذلك لأنه قد يؤتى بجواب الشرط مضارعًا إذا كان ينقضي وينصرم شيئًا فشيئًا أي مستمرًا[٤].

ولذلك يقول الدكتور فاضل السامرائي عن المضارع في «إن تتوبا»، والكلام موجه إلى زوجي النبيﷺ والمقصود هنا بالتوبة: التوبة الجزئية العارضة التي يتكرر أمثالها من الوقوع في اللمم والصغائر»[٥].

---

(١) الجملة الشرطية عند النحاة ص ٢٠١ .

(٢) الخصائص(١٧٨/٣).

(٣) ينظر: اسرار تقييد المسند ص ٢٢٩ .

(٤) ينظر : معاني النحو(٧٢/٤).

(٥) السابق(٦٩/٤) .

٢ - المضارع مع غير الشرط:

وجاء ذلك في سورة التحريم في الآية الأولى من سورة التحريم في جملتين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ ﴾ التحريم: ١

ولا شك أن كل هذا قد حدث قبل أن ينزل القرآن متحدثا عن القضية، فرغم أن الآيات حديث عن قصة حدثت وانتهت إلا أن القرآن جاء بالسؤال على صيغة المضارع ولعل ذلك كان من أجل استحضار الحدث الماضي؛ ليزيد من العناية به؛ لأن القضية مهمة لكونها أثرت في نفس الرسول ﷺ حتى منع نفسه بعض ما أحله الله –تعالى– له «فالمضارع يختص بقدرته على استحضار الماضي ولا يكون هذا إلا لأجل مزيد من العناية بذلك الحدث، فيجتلب المضارع الحدث بصيغته من عمق الزمن الماضي لتشخيصه وبعثه مرة أخرى»[(١)] استحضارًا لصورته في الذهن كأنه مشاهد مرئي في وقت الإخبار[(٢)].

وكذلك جاء بالمضارع هنا لأن الفعل الذي هو التحريم وسببه ابتغاء رضا الأزواج ما زال متصلًا بالحال من حيث ترتب آثاره عليه فمازال رسول الله ﷺ وقت النزول محرمًا للعسل أو لمارية على الخلاف ومازال الحرص على إرضاء زوجه موجودًا في نفسه، ولذلك أعقبه الله ببيان الحل لتلك المعضلة التي جعلت البيت النبوي في هذا الإشكال فاتبعه بما سينهي هذه الحال الممتدة حتى نزول الآيات فقال:

﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ التحريم: ٢

ونخلص من هذا إلى أن الفعل وصيغته قد أديا وظائف نفسية ودلالية متعددة تمثلت في معظمها في إثارة الدافعية نحو القيام بالمطلوب كما في «أعد واعتد»،

---

(١) بلاغة القرآن ص ١٧٠.

(٢) معاني النحو (٣/٣٩١) .

وكذلك في جعل فعل الشرط وجوابه مضارعين، وكذلك في المضارع المسبوق ب«كان».

ثانياً: أبنية الاسماء وأثرها الدلالي النفسي

يرى اللغويون أن الاسم يفيد الثبوت، فإذا قلت هو كريم أو جواد فإن كريمًا أو جوادًا تفيد ثبوت الصفة في صاحبها وأن صاحبها متصف بها على الدوام، وذلك لأن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة، فهو أعم وأثبت وأشمل(١).

وعلى هذا فمجيء عدد من الأحداث أو الصفات على الصيغة الاسمية لا بد أنه يدل على معنى مغاير لمعنى الفعلية، وذلك لا محالة في الدلالة العامة لأى نص لغوى، وقد جاء عدد من الألفاظ على صور بعض المشتقات وكان لدلالة المشتق دور أساسي في المعنى المراد من النص، ومن ذلك:

١-الصفة المشبهة:

وهي ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت(٢)، أي إنما تدل على أن الصفة في صاحبها على وجه الدوام(٣).

والقرآن يتميز بالدقة في اختيار اللفظة التي تؤدى محتواها بأمانة باستنفاد طاقتها؛ لكي تمد ذهن القارئ بكل ما تملكه من معنى و تعكسه من مغزى وتحدده من هدف لتثير النفس والوجدان وتحرك العقل(٤).

---

(١) ينظر: معاني الأبنية ص٩ .

(٢) الكافية في علم النحو ص٤١.

(٣) ينظر: معاني الأبنية ص٦٥.

(٤) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن الكريم ص٨٣.

وقد اختار القرآن عددًا كبير من الصيغ المنتمية الى الصفة المشبهة وجاءت مع ثلاثة أمور:

أ – الأجر والرزق

ب – ختام الآيات بالأسماء الحسنى

ج – مع وصف الملائكة

وقد جاءت كلها على صيغة واحدة "فعيل"

ففي سورة الأحزاب: السراح= جميل – الأجر=عظيم – الرزق = كريم– الله = لطيف وخبير .

وفي سورة التحريم: الله = رحيم= عليم حكيم = عليم خبير – الملائكة = ظهير.

وقد رأى الدكتور عبد الحميد هنداوى أن تكرار صيغة الصفة المشبهة في عموم القرآن؛ للإلحاح على إثبات الصفة المشبهة، مع ما تؤديه من تناسب في الإيقاع ينتج من تكرار الصيغة(١).

وهذا مما يصب في صالح ترسيخ أثر الكلمة في النفس، فـ " عندما تكون صيغ المفردات في العبارة متخيّرة دقيقة فإنها تحدث قوة في السبك وجمالاً في التناسق، فضلاً عما تحدثه من إيقاع خاص ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة، ولا شك أن تناغم دلالة المفردات يؤدى تلقائياً إلى تناغم صيغ تلك المفردات عند من اختلطت بنفسه فطرة اللغة وأوتى حظًا من ملكة حسن التعبير"(٢).

---

(١) الإعجاز الصرفي ص ٢٣١.

(٢) البلاغة الصوتية ص٥٩.

ومجيء الألفاظ على هذه الصيغة أسهم في اتساق فواصل الآيات التي تتحدث عن موضع معين، فنلاحظ انتهاء فواصل موضع الأحزاب كله بالألف حتى وإن اختلف الحرف قبل الأخير لكن الآيات جرت على إيقاع صيغي واحد تمثل في : (جميلا – يسيرا – عظيما – كريما– معروفا[1] –خبيرا) .

وفي التحريم كذلك : (رحيم – الحكيم – الخبير – ظهير)

وحتى إن اختلف الحرف الأخير فقد ظلت الصيغة محتفظة بنصيبها من الأداء في الإيقاع الصوتي الذي هو عند الوقف " ياء مد + صحيح ساكن) .

وقد عد بعض العلماء أن مجرد اتفاق الصيغة يعد نوعًا من الفواصل حتى لو اختلفت حروف رويها، فالفاصلة عنده توافق حروف الروي، أو توافق الوزن، ويعني بالوزن ها الوزن العروضي الذي تقابل فيه حركة بحركة –بصرف النظر عن نوع الحركة– أو ساكن بساكن[2]، وهو ما يسمى بالموازنة في الفواصل، أو المماثلة، أو التوازن[3]، وهي: "أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنًا، وللكلام بذلك طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال؛ لأنه المطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلةً وقعت من النَّفس موقع الاستحسان".

فقد أحدثت الصيغة في عمومها نوعًا من التواؤم الموسيقى الذي أدى إلى انتظام الإيقاع في فواصل الآيات؛ مما يجعل النفس ترتاح له فتقبل على الاستماع

---

(١) معروف أن واو المد وياء المد تتبادلان في القافية والفواصل دون أن يعد ذلك تغيرًا في قوافي الشعر وفواصل الآيات؛ نظرًا لاتحاد سماتهما الصوتية، وفي الشعر من ذلك الكثير، ينظر: التشكيل الجمالي ص٧٢٢ .

(٢) ينظر: الفاصلة في القرآن ص١٣٨ .

(٣) ينظر: الفواصل ص١٥٣ و ١٥٤ .

مما يسهم في فهمها ووعيها وامتثالها الأمر، هذا إجمالاً وأما التفصيل، فيتضح مما يلي:

أ – إن وصف التسريح بأنه جميل رسالة لبعث الطمأنينة في نفوس أزواجه ﷺ فهو طلاق جميل قولًا وفعلًا من غير ضرار[١]، وهذا رقى وإتاحة الفرصة لهن ليخترن كما يشأن، فان اخترن الدنيا فلن يكون في تسريحهن ما يضرهن أو يعضلهن وليس بعد ذلك تطمين، ويدل على هذا الارتباط بصيغة المشابهة (جميل = فعيل) وهذا تأكيد للمراد من خلال دلالة الصيغة على ثبوت المعنى مهما حدث من المقصودين به.

ب - الأجر العظيم - الرزق الكريم

ووصف الأجر بالعظمة فيه ترغيب في الطاعة[٢]؛ لأن الأجر العظيم فيه رفع الدرجات من الله –عز وجل– والمغفرة والرحمة، وفيه معنى غفر ورحم وفضل[٣] أو هو يزيد على قدر الاستحقاق بالعمل[٤]، وهذا تحفيز وإثارة للدافعية نحو المطلوب وبيان أن الوصف بالعظمة ثابت لهذا الأجر لن ينفصل عنه، وهذا مفاد الصفة المشبهة.

ووصف الرزق بالكرم فيه من الجلال ما فيه «قالوا: فرق بين الرزق في الدنيا والرزق في الآخرة، الرزق في الدنيا له أسباب، فالسبب هو الرازق من ولد أو والٍ أو أجير أو تاجر ... إلخ، فالذي يجرى لك الرزق على يديه هو الذي يوصف بالكرم، أما في الآخرة فالرزق يأتيك بلا أسباب، فناسب أن يوصف بأنه كريم» [٥]

---

(١) ينظر : نظم الدرر(٣٧٧/١٥).

(٢) ينظر : نظم الدرر(٣١٩/٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه– الزجاج (٩٤/٢).

(٤) ينظر: لطائف الاشارات ص٣٢٩.

(٥) تفسير الشعراوي (١٢٠١٧/١٩)

ولعل في هذا الوصف ملمحًا دلاليًا مهم جدًا؛ إذ كان سبب نزول الآيات زيادة النفقة وهى رزق، ولكنه رزق إن جاءهن فقد كان سيجيئهن وقد غضب رسول الله ﷺ منهن فهو رزق غير كريم، وكذلك الرزق في الدنيا قد يكون كثيرًا ووفيرًا لكنه مصدر لغضب الله –تعالى– وقد يكون مصحوبًا بكدر أو متقلبًا بين النقاء مرة والكدر أخرى، فجاء ما وعدهن الله به مصحوبًا بـ"الكريم" الذى هو صفة مشبهة تدل على ثبوت الصفة لهذا الرزق على الدوام فلا يتغير ولا يتبدل حاله .

يقول الرازي: «وأما كونه كريمًا فهو إشارة إلى كون تلك المنافع خالصة دائمة مقرونة بالإكرام والتعظيم»(١).

ومهما تكن من دلالات ففي كليهما (العظيم – الكريم) دلالة على ثبوت الوصف، وفي هذا إثارة وتحفيز لهن –رضي الله عنهن– أن يكن في هذا الجانب وتحفيز لغيرهن من المسلمين.

ب – وقد جاء عدد من أسماء الله الحسنى في الموضعين على زنة الصفة المشبهة

في الأحزاب (لطيف خبير)، في التحريم (رحيم – عليم – حكيم – الخبير) وفي تكرار ختم الآيات بالأسماء الحسنى دلالات كثيرة منها: التنبيه على أن معرفة الله باسمه العظيم تدل على ما يترتب عليه من أحكام، بمعنى أن هذا الحكم من أثر هذا الاسم(٢).

ولهذه الاسماء دلالات وجدانية مهمة فلو تأملنا ما في سورة الأحزاب لوجدنا لها معنى نفسيًا عظيمًا كما ذكر البقاعي فقال: «ولما كان السياق للإعراض عن

---

(١) مفاتيح الغيب(١٥/٤٥٥).

(٢) ينظر: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ص٤٤.

الدنيا، وكانت الحكمة منفرة عنها، أشار بختام الآية إلى أنها مع كونها محصلة لفوز الأخرى جالبة لخير الدنيا، فقال مؤكدًا ردعًا لمن يشك في أن الرفعة يوصل إليها بضدها ونحو ذلك مما تضمنه الخبر من جليل العبر: (إن الله) أي والذى له جميع العظمة (كان) أي لم يزل (لطيفًا) أي يوصل إلى المقاصد بوسائل الأضداد (خبيراً) أي يدق علمه عن إدراك الأفكار، فهو يجعل الإعراض عن الدنيا جالبًا لها على أجمل الطرائق وأكمل الخلائق، وإن رغمت أنوف جميع الخلائق، ويعلم من يصلح لبيت النبيﷺ ومن لا يصلح، وما يصلح الناس دنيا ودينًا وما لا يصلحهم، والطرق الموصلة إلى كل ما قضاه وقدره وإن كانت على غير ما يألفه الناس»[١]، وبهذا يستشعر المؤمن الأمن النفسي والقلبي والاطمئنان في أن الله تعالى هو المؤمن، فكل ما قاله صدق، وهو يصدق العبد في إيمانه وأن الله هو حافظه ويحفظ أعماله ويشهد للحق الذي يحمله[٢] .

وهكذا كان الأمر في ختم الآيات بالرحيم في سورة التحريم في حق النبي – صلى الله عليه وسلم– فهو تطمين له بعد العتاب، فهو إيناس للنبي – صلى الله عليه وسلم– من وحشة هذا الملام[٣].

وأما في حق زوجاته فكان زيادة في الزجر والعتاب، وإيثار هذين الوصفين هنا دون الاسم العلم لما فيهما من التذكير بما يجب أن يعلمه الناس من إحاطة الله علمًا وخبرًا بكل شيء، والعليم في أسمائه دال على أكمل العلم، أي العليم المحيط بكل معلوم، والخبير مشتق من خبر الشيء إذا أحاط بمعانيه ودخائله[٤]، فهو أهل لأن

---

(١) نظم الدرر(٣٤٨/١٥).

(٢) أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ص٩٩.

(٣) التحرير والتنوير(٦٢٥/١١).

(٤) ينظر: السابق (٦٣١/١١).

يُحذر فلا يتكلم سرًا ولا جهرًا إلا بما يرضيه[١] فأسماء الله هنا وردت وكأنها دليل على ما تقدم في الآية[٢].

ونلاحظ أنها كلها جاءت على الوصف الدال على الصفة المشبهة مما يكسب الاسم والمعنى اللغوي رسوخًا في نفس المخاطب فتتهيأ النفس لقبول ما سيق قبله من أمر أو نهي أو خبر.

ج – وأما وصف الملائكة بالصفة المشبهة «ظهير» فقد كان المراد منها أيضًا رفع مقام النبيﷺ وزيادة في الوعيد لمن يتظاهر عليه؛ إذ المقصود منه «تعظيم هذا النصر بوفرة الناصرين تنويهًا بمحبة أهل السماء للنبي ﷺ وحسن ذكره بينهم فإن ذلك مما يزيد نصر الله إياه شأنًا»[٣] وقيل المراد المبالغة في توهين أمر تظاهرهما[٤] وقد أخبر الله تعالي عن الجمع باسم الجنس فخوف بهذا كله؛ لأجل المتاب لطفًا به ﷺ وإظهارًا لعظمته[٥]؛ وهذه الأغراض تؤديها الصفة المشبهة؛ لدلالتها على الثبوت أكثر من أي صيغة أخرى، ولأن تظاهر البشر أضعف من تظاهر ونصرة الملائكة، فقد قال في حق البشر «وإن تظاهرا»، أما في حق الملائكة فجاء بالصفة المشبهة، فجاء في حق الأضعف بالفعل الذي لا يفيد ثبوتًا وفي حق الأقوى بالصفة المشبهة التي تؤدى إلى التعظيم والتخويف؛ لما في صيغتها من دلالة على الثبوت.

وعلى هذا فقد أدت الصفة المشبهة معاني زائدة على الدلالة اللغوية بما تدل عليه من الثبوت في حق ما صيغ عليها، فأفادت فتح الأمل والتحفيز وزيادة الدافعية

---

(١) نظم الدرر(٢٠/١٨٨).

(٢) ينظر: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ص٤٥.

(٣) التحرير والتنوير(١١/٦٣٥).

(٤) روح المعاني(١٤/٣٤٩).

(٥) ينظر: نظم الدرر(٢٠/١٩٢)..

في سورة الأحزاب، وساهمت في زيادة نبرة الزجر والتخويف في سورة التحريم، وقد كان لاختلاف الدافع النفسي في كل من الموقفين أثر في اختلاف الأثر النفسي لصيغة الصفة المشبهة في كل من السورتين.

٢ - الجمع ودلالته في سورة التحريم:

مما يلفت النظر في سورة التحريم مجيء كلمتي: (أزواج – قلوب) على صيغة الجمع مع أن المراد في الحالتين مثنًى .

ففي التحريم جاءت (تبتغي مرضاة أزواجك، إلى بعض أزواجه، أزواجًا خيرًا منكن) وهذا تعبير بالجمع عن المثنى، ولهذا دلالات نفسية مهمة جدًا .

أما الموضعان الأولان فقد وردا في حق السيدتين عائشة وحفصة –عليهن السلام– والداعي إلى الجمع هنا هو ما سار عليه القرآن من حرص دائم على الستر في حق المرأة، ونلحظ في هذا اللفظ تركيزًا على سبب القصة وسترًا للشخصية؛ لأنه لم يصرح بالزوجين اللتين فعلتا هذا، ولم يذكرهما بلفظ الاثنين، بل زاد في ذلك بإيراد الجمع مسبوقًا بكلمة بعض فهي من ناحية ستر لمن فعلتا، ومن ناحية أخرى تبرئة للبعض الآخر؛ إذ لو لم تأتِ كلمة "بعض" لتوهم أنه فعل جميع زوجاته[١]، ولو جاءت بالتثنية أو بالاسم صريحًا لكان ذلك تسليطا للضوء على الشخصيات وهو ما قد يضعهن في حرج، وهو غير مطلوب في مجال عرض الوقائع .

فالقصص القرآني لم يهتم بالشكل الخارجي للشخصيات النسائية بل يركز على دوافع الشخصية وانفعالاتها وسلوكها، مما تكمن فيه العظة والعبرة، كما يحرص على التستر على المرأة[٢].

---

(١) ولذلك لما كان الأمر من سؤال النفقة في الأحزاب عامًا لم يسبق الجمع بلفظ "بعض" .

(٢) ينظر : شخصية المرأة ص٤٢٩ .

أما الموضع الثالث: فإن الآية فيه كلها سيقت مساق التهديد، ووعد من الله أن يبدله غيرهن إن طلقهن، لكنه لما كان السبب في كل تلك الحادثة هو غيرة من زوجه أو جاريته[1] هددهن الله بالطلاق؛ وبأزواج خيرٍ منهن، وليس زوجة واحدة، وقد صرح بالموصوف هنا على غير عادة القرآن من حذف ما قبل "خيرًا" في الإبدال، كما في قوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الكهف: ٤٠ ﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ ﴾ الكهف: ٨١ ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ القلم: ٣٢ ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المعارج: ٤١. ولكنه هنا صرح بها؛ لبيان أن ما حاولتما الفرار منه بهذا الفعل قد يحدث بتعدد زوجات أكثر ويكون ذلك باستبدالكن وإحلالهن مكانكن .

أما مجيء لفظ "القلوب" جمعًا في قوله :﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ التحريم: ٤، فهذا مما تتنوع فيه لغات العرب، فالمضافان إلى مُتضَمِّنَيْهما كقوله تعالى (فقد صَغَتْ قلوبُكما) سواء أكان ما أضيف فيه جزءين أو ما هما كجزأين إلى ما يتضمنهما من مثنى المعنى وإن لم يكن مثنى اللفظ فلفظ الجمع أولى به من لفظ الإفراد، ولفظ الإفراد أولى به من لفظ التثنية، وذلك أنهم استثقلوا تثنيتين في شيئين هما شيء واحد لفظا ومعنى، وعدلوا إلى غير لفظ التثنية، فكان الجمع أولى لأنه شريكهما في الضم، وفي مجاوزة الإفراد، وكان الإفراد أولى من التثنية لأنه أخف منها والمراد به حاصل[2].

---

(١) زوجه زينب بنت جحش أو جاريته مارية القبطية –رضي الله عنهن– على خلاف بين المفسرين.

(٢) ينظر: شرح التسهيل (١/١٠٦) .

والخلاصة أن في مثل هذا ثلاثة أوجه :

١. أن يجمع المضاف، فيقال: "قلوبكما" كما جاءت في الآية .

٢. أن يبقى المضاف على حاله في التثنية فيقال: "قلباكما"

٣. أن يؤتى بلفظ المضاف مفردًا، فيقال: "قلبكما"

والثانية هي القياس، لكن الأولى هي الأشهر، وقد جاءت الآية على الصورة المثلى في التركيب، وهي الصورة التي فضلها الاستعمال اللغوي، كما نُقل عن العرب(١).

وفوق كل ذلك تبرز قضية نفسية مهمة، وهي تصوير مدى الحيرة والغيرة والتقلب وما نتج من هذه الغيرة من أحداث لا شك أن لها أثرًا على القلب، فنزِّل تنازع المشاعر منزلة تعدد القلوب، وكأن المرأة صار لها أكثر من قلب: قلب يغار، وقلب يحرص على إرضاء الزوج، قلب فعل ما فعل من جراء سلوك نفسي خرج عن النهج السليم، وقلب محب لله ورسوله يطلب التوبة والمغفرة والإنابة، وهكذا تتنازع وتتصارع المشاعر النفسية داخل الزوجتين وكأن لكل واحدة منهن عدة قلوب تتنازع مع بعضها.

وقد ألمح إلى شيء من ذلك بهاء الدين السبكي فقال بعد أن ذكر كل الآراء السابق ذكرها من الأوجه الجائزة : "ووجهه ما سبق، إلا أنه يجوز أن تكون قصدت المبالغة بتقسيم كل من الشيئين إلى أشياء، أو تكون قصدت المبالغة في أحدهما بتقسيمه دون الآخر"(٢).

وخلاصة هذا المبحث أن الصيغ الصرفية أدت بجانب دلالتها الصرفية معاني نفسية تلائم المراد منها في كل جهة، فساهمت في الدافعية وتحفيزها في موطن سورة الأحزاب، كما ساهمت في ارتفاع نبرة الوعيد والتهديد في موطن سورة التحريم، وكان كل ذلك انطلاقًا وتعبيرًا ونتيجة لاختلاف الدافع النفسي والأثر الناتج عنه في كلا الموضوعين .

---

(١) ينظر: كمال اللغة القرآنية ص٥٤.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢٩٧/١).

المبحث الثالث

التراكيب وإيحاءاتها النفسية.

مدخل:

تمثل دراسة التركيب في اللسانيات المعاصرة المقصد الأساس من الدراسات التي تعنى بغيره من المستويات الأخرى (الصوتية – المعجمية – الصرفية) ذلك أن الإنسان لا ينطق أصواتا مفردة ولا كلمات مقطعة، ولكنه ينطق جملا متتابعة؛ فهذه الجمل هي التي تعبر عن المعنى المراد، فـ"الباحث في النحو لا يستغني عن تناول المستويات اللغوية الأخرى من أصوات ومفردات ودلالة، إضافة إلى الصرف؛ لارتباط هذه المستويات ببعضها، بيد أن النحو أساس الدراسة في هذه المستويات ببعضها، فهو الذي يصل بينها، ويشملها في أي دراسة لبنية من أبنيته... والنحو غاية هذه الدراسات وهدفها؛ لاعتماده على الجملة التي يمثل بناؤها الصورة النهائية لتوصيل المعنى إلى السامع أو إلى القارئ"(١).

ومما تتميز به العربية دقة تنوع تعابيرها ودقتها في أداء المعنى المراد، وهو ما منحها ميزة عن غيرها من اللغات .

وقد تنبه لهذا ابن فارس فقال: "فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلَّ مَن أفْهَم بكلامه عَلَى شرط لغته فقد بَيَّن. قيل لَهُ: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قَدْ يُعرِبُ عن نفسه حَتَّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قَدْ يدلُّ بإشارات وحركات لَهُ عَلَى أكثر مراده ثُمَّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمَّى بَيِّناً أَوْ بليغاً. وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما

---

(١) ينظر:علم اللغة النفسي – العصيلي ص٨١ .

أمكننا ذَلِكَ إِلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، ... وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب، هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهيَة. وَقَدْ قال بعضُ علمائنا حين ذكر مَا للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب فِي القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم عَلَى أن ينقله إِلَى شيء من الألسنة"(١).

وانطلاقا من هذا الأمر يقرر فاضل السامرائي أن "الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها، كما يتصور بعضهم، وإنَّ جواز أكثر من وجه تعبيري ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، وإن لك الحق أن تستعمل أيها تشاء كما تشاء وإنما لكل وجه دلالته فإذا أردت معنًى ما؛ لزمك أن تستعمل التعبير الذي يؤديه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحدا، إلا إذا كان ذلك لغة، نحو قولك: "ما محمد حاضرًا" و "ما محمد حاضر" فالأولى لغة حجازية، والثانية تميمية، ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى، وفيما عدا ذلك لابد أن يكون لكل تعبير معنى، إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير، لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، بالأوجه التعبيرية المتعددة، إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة"(٢).

والجمل العربية متنوعة جدًا؛ ما بين جملة فعلية وجملة اسمية، أو جملة خبرية، أو إنشائية (استفهامية – طلبية – دعائية ...إلخ)، أو غيرها من أنواع الجمل، ولكل نوع من هذه الأنواع دلالته وموقعه الذي يراعى فيه حال المخاطب والمعنى المراد إيصاله والسياقات المحيطة بعناصر الحدث اللغوي .

---

(١) الصاحبي ص١٩ .

(٢) معاني النحو (٩/١) .

إن مهمة علم النحو هي الاهتمام بوسائل الربط بين عالمي الأصوات والمعنى، ومهمة النحاة أن يبحثوا في الأنماط الفكرية والأنماط النحوية[١].

وفي هذا المبحث نحاول استقراء عدد من الأساليب النحوية المنتشرة في الآيات موضع البحث ومعرفة ملاءمتها للأثر النفسي والمعنى الإضافي الذي يؤديه انتشارها في هذه الآيات .

ونشير بداية إلى أن التحليل لن يكون للجمل وإنما للأساليب النحوية، والتي قد يطلق عليها تجوزًا الجمل، ولكننا نعني بالأساليب بعض الأبواب النحوية العامة والبلاغية؛ كأسلوب الشرط، والاستفهام، والنداء، والالتفات وغيرها .

أولا : أسلوب النداء

النداء لغة الدعاء، واصطلاحا الدعاء بحروف مخصوصة... وأعمها استعمالًا "يا" ينادى بها القريب والبعيد[٢]، والأصل فيه المفعولية على تقدير "أدعو فلانًا" إلا إنهم تركوا إظهار هذا الفعل استغناء عنه بحروف النداء رفعًا للبس الخبر بالنداء واختصارًا في اللفظ ... والغرض منه تنبيه المدعو، ليقبل عليك ويجيبك[٣]، وله أغراض أخرى كثيرة لا سيما في القرآن الكريم منها: الدعاء، والإغراء، والتحسر والزجر، والتعجب، والتحقير، والتنبيه، والوعيد، والتهديد، والعتاب، وغيرها من الأغراض[٤].

(١) ينظر: بناء الجملة العربية ص ١٣

(٢) ارتشاف الضرب (٢١٧٩/٤).

(٣) البديع في علم الغربية (٢٨٨/١).

(٤) ينظر: النداء في اللغة والقرآن ص١٦١ وما بعدها .

وقد كثر النداء في القرآن الكريم من أوله إلى نهايته، فأول فيه نداء للناس عامة[١]، وقبل آخره نداء للكافرين[٢]، وتنوعت أساليبه بين ذكر و حذف وتكرار في السور وندرة فيها «ويتميز النداء من بين أساليب الخطاب القرآني بانه عميق التأثير يلامس الأحاسيس الإنسانية ويثير الأفكار العقلية فيؤسس فيها القناعة، كما أنه يتنوع بما يتلاءم مع حال المخاطبين واستجابتهم، فان وجوه المخاطبات في القرآن الكريم فيها التوافق التام مع المقام ومقتضى الحال، ولا يحتاج المرء لكثير تدبر ليلحظ ذلك التنوع، ويتبين للباحث من هذه النصوص أن هذا التنوع لا يجرى عبثًا، بل إنه يأتي دائما بحيث يعبر بأقصى درجات الدقة وحساسية بالغة عن تغيير المعنى المراد تبعًا للمواقف والموضوعات والمخاطبين»[٣].

وتتميز جملة النداء باشتمالها على جملة طلبية غير النداء، لأن النداء قد يأتي به المتكلم لأمر يتعلق بالجملة الطلبية التي اشتملت عليها جملة النداء، وفى الغالب فإن الجملة الطلبية تكون أمراً أو نهياً، وربما تكون نداءً، أو تمنيًا، ويتضح من هذا أن النداء –وإن كان طلبًا– إلا أنه ليس هو غاية الطلب في الخطاب العربي، وهذا ما يدعو لتأمل الغرض المستلزم لاجتلاب النداء –وهو أسلوب طلبي– لخدمة أسلوب طلبي آخر[٤].

الأثر النفسي لأسلوب النداء

أسلوب النداء أسلوب يستدعي عدة عوامل نفسية ليؤتي ثماره ويحقق غرضه،

---

(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ البقرة: ٢١

(٢) ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ ﴾ الكافرون: ١

(٣) أساليب النداء في القرآن الكريم ص٥.

(٤) مجازات النداء ص ١٦٢.

ومنها: وجود مثير أو قوة منبهة تستدعى حدوث هذا النداء، أو وجود خبرات وتجارب سابقة تكشف نتيجة الموقف المتعلق بالنداء، ووجود عوامل موضوعية تتمثل في خطورة الموقف الذي استدعى النداء، ووجود عوامل شخصية تتعلق بالمنادي، وهي ما اعتراه من خوف، أو خجل، أو أسف، أو ضيق، أو حزن، فهو إذن ليس لمجرد التنبيه وإقبال المنادى ذهنيًا، بل هو تحذير وتنبيه وتأنيب وتقريع وتخويف، فأسلوب النداء إذن أسلوب نفسي يلجأ إليه المتكلم لهدف اجتماعي ونفسى ينبه أو يحرك أو يحذر المتلقي(١).

وإذا تأملنا الموضعين الذين معنا نجدهما يبدآن بالنداء ذاته وهو "يا أيها النبي"، وهذا النداء له من الأسباب ما يجعله ملائمًا للبدء في الموضعين.

إذ يرى الطاهر بن عاشور افتتاح هذه الأحكام (سورة الأحزاب) بنداء يا أيها النبي تنبيه على أن ما سيذكر بعد النداء له مزيد اختصاص به، وهو عرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوة(٢).

أما د . أبو موسى –حفظه الله– فيرى أن الله ناداه بوصف النبوة؛ لأن المقام مقام إنباء لأزواجه وتبليغ بالاختيار وهو أنه النبي المنبّأ من قبل الله أو المنبئ عن الله وليس في مراتب الشرف أفضل من هذا(٣).

و أجدني متفقًا مع الشيخ –حفظه الله– أكثر من اتفاقي مع رأى الطاهر –رحمه الله– فقد جاء نداء "يا أيها النبي"، في مواضع ليست لاختصاص النبي ﷺ وأقربها أول سورة الأحزاب، لكن النداء هنا كان رفعًا لمقام النبي ﷺ وهذا تطييب لخاطره بعد

---

(١) ينظر: الجوانب النفسية في اسلوب النداء ص ٢٠.

(٢) ينظر التحرير والتنوير(٨/٩٤٢/٩٤٣).

(٣) من أسرار التعبير القرآني ص ٢٤٣.

ما أحدثه أزواجه له من ضيق وحزن، فجاء النداء بلفظ النبي المشتق "من النبوة أي الرفعة، وسمى نبيًا لرفعة محله عن سائر الناس"(١).

فقد أحزنه مطالبة نسائه بزيادة النفقة وأزعجه حتى حلف أن يهجر نساءه شهرًا(٢) وهنا جاء النداء معالجًا لهذه الحال ورافعًا مكانته؛ ليذهب عنه ما هو فيه من الحزن والضيق كما أن هذا إلماح لأزواجه ﷺ برفعة مكانته وأنه ما ينبغي أن يفعل معه ما يؤدى إلى حزنه وضيقه، وكذلك الماح إلى أن الرفعة والعلو ليسا بما في الدنيا وإنما مصدرهما الله عز وجل.

ب - افتتاح التحريم بالنداء

والذي يبدو لي أن النداء هنا غرضه كما في الأحزاب بيان رفعة قدر النبي ﷺ وتطييب لخاطره عما جرى وقد رد بعضهم النداء إلى غرض التكريم والعتاب، أما التكريم ففي ندائه -عليه الصلاة والسلام- بوصف النبوة، تعظيمًا لشأنه وعناية به وأما العتاب فلأمرِ ما جرى منه من تحريم ما أحله الله (٣).

ولكن الذي يبدو لي من استقراء الآيات وسياقها أن العتاب ليس في النداء بل في الاستفهام بعده، لكن النداء هنا نداء تكريم وعلو شأن النبي ﷺ في مواجهة ما حدث من أزواجه، فهو تطييب لخاطره وإعلاء لمنزلته من بداية القصة فكأنه يقول له - في مقابل ما أحدثه أزواجه من ضيق له- إنك مرتفع على كل هذا ومنزَّه من كل نقص يعتريك، إذ إن أزواجه قد قلن له: «أكلت مغافير»، وهى رائحة تنفر الشخص من فاعلها.

---

(١) المفردات ص ٧٩٠.

(٢) التفسير الحديث (٣٧١/٧).

(٣) ينظر في النداءات الإلهية في سورة التحريم ص ٢٠٦.

ولذلك علق بعض البلاغيين على هذا التركيب من النداء بأن فيه معاني التفخيم والتنبيه والتوكيد، لأنها تتكون من: يا وأيُّ وها [١].

فقد جاء النداء بالنبي معالجًا للحالة النفسية من الحزن والضيق جراء ما حدث من تعاون السيدتين عائشة وحفصة على النبيﷺ .

كذلك في النداء بالنبي معنى آخر يحتمله على قراءة الجمهور وتؤكده قراءة نافع وهو معنى النبأ فنافع يقرؤها النبيء بالهمز ويرى بعض علماء القراءات أن هذه هي الأصل، وأن الصيغة الأخرى مبدلة ياء من الهمزة ثم أُدغِمت [٢].

وأما موقف اللغويين فكما ذكره الأزهري منهم من رأى أن النبي هو من أنبأ عن الله فترك همزه، أو أنه مأخوذ من النبوة والنباوة وهى: الارتفاع من الأرض؛ لارتفاع قدره؛ ولأنه شرف على سائر الخلق فعلى هذا أصله غير الهمز [٣].

وعلى الأقل فإنه على قراءة نافع قد أدى هذا النداء بالنبوءة «يا أيها النبيء» تسلية أخرى للنبي ﷺ ورفعًا للضيق عنه ببيان أن الله سينبئه بما حدث من أزواجه من تعاون وتظاهر؛ ولذلك نجد ما يجانس اشتقاقًا لفظ "النبيء" جاء في الآية التالية فجاء لفظ "نبأ" بصيغة الماضي أربع مرات، وهو هنا يقابل معنى الإسرار الذى جاء في أول الآية، ويقابل كذلك الاتفاق السرى الذى عقدته السيدتان الكريمتان رضوان الله عليهن.

فقد أدى النداء بالنبوة رفعًا للضيق النفسي جراء ما حدث في هذه القصة.

---

(١) من أسرار النظيم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة ص ٢١١٤ ،

(٢) ينظر: الوافي في شرح الشاطبية ص٢٠٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ن ب أ)(١٥/٣٤٨و٣٤٩).

وكذلك أدى معنى الارتفاع إلماحًا للنبي ﷺ أنه مرتفع عن كل ما تحدثه غيرة النساء من ضيق وحرج، وكذلك إلماح إلى أزواجه -رضي الله عنهن- بأنه ما من شيء يمكن أن يكتم ويعقد في النفس على رسول الله ﷺلأنه منبأ عن الله، والله سيطلعه على كل شيء وهذا علاج لما في نفوس أزواجه ﷺ من الغيرة وحب الاستئثار به ﷺ حتى لو كان في استئثارهن ترك النبيﷺ لبعض ما يحب.

ج- تكرار النداء في سورة الاحزاب:

كرر النداء لزوجات النبي مرتين بصيغة «يا نساء النبي» وهذه الإضافة إضافة تشريف وتعظيم لهن رضوان الله عليهن، وفي هذا لفتات نفسية مهمة أفادتها إضافتهن للنبي منها أن هذه الإضافة تذكرهن بشرف ما هن فيه، وهذا التشريف من أغراض النداء في القرآن الكريم، وهو «التكريم بالوصف المحبوب عند الله لرفع المكانة»[(١)].

والذي يدل على أن هذا التكريم أن هذا النداء كان بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة [(٢)]، وقد تجلى مظهر هذا التكريم في أمرين:

الأول: النداء بوصف يا نساء النبي كما سبق بيانه.

الثاني: أن النداء جاء من الله مباشرة لهن وهذا تشريف لهن بعد أن استقامت أنفسهن على إرادة ما عند الله تعالى.

كذلك فإن هذا النداء تذكير لهن بعلو مكانتهن وأنهن ما ينبغي لهن أن تميل أنفسهن إلى الدنيا، بل تميل إلى ما مال إليه النبي ﷺ وارتضاه من طريقة في العيش.

---

(١) النداء في اللغة والقرآن ص ١٤٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير(٨/٩٤٥).

فهذا النداء يشتمل على الاعتناء بالنصح لهن وتشريفهن وترتب أحكام عليه تخصهن وبيان ما خص به نساؤه ﷺ من الفضل[١].

حذف أداة النداء

يكثر حذف أداة النداء في العربية والقرآن الكريم، وقد عد بعض العلماء لذلك أغراضًا عدة؛ كالعجلة والإسراع بقصد الفراغ من الكلام، والإيجاز؛ لأن المقام يقتضيه، وقد يكون الحذف لقرب المنادى من المنادي سواء أكان القرب حقيقيًا مادياً أم معنوياً، فكأن المنادى لقربه لا يحتاج إلى واسطة لندائه، ولو كان حرف نداء[٢].

ويظهر الأثر النفسي لحذف الأداة من خلال معرفة أسباب هذا الحذف، وقد يكون داعي المتكلم لحذف الأداة طلبًا لسرعة الاستجابة، فاتجه إلى الاختصار في النداء، وقد خص بعض العلماء حذف الأداة بأن تكون للقريب، ولعل في هذا إشارة الى أن الحذف لا يكون الا مع عدم الإخلال بالمراد، والمنادي القريب لا شك أنه يعايش الحدث الكلامي ويدرك تفاصيله ويفهم مراميه[٣].

قال الطاهر: «وقوله: أهل البيت نداء للمخاطبين من نساء النبي مع حضرة النبي ﷺ»[٤]، وقد عد الدكتور فاصل السامرائي هذا الحذف لقرب المنادى قربًا معنويًا[٥].

وهكذا نرى أن إشعار زوجات النبي بالقرب بحذف أداة النداء يعد ختامًا مريحًا نفسيًا لهن، بعد توعُد في مفتتح الأمر، ولكن الختام جاء بهذا الأسلوب تحقيقًا لمبدأ التربية النفسي القائم على الترغيب والترهيب، فالقرآن رغبهن ورهبهن وشرفهن في

---

(١) ينظر: أساليب النداء ١٢٣ /١٢٤.

(٢) ينظر معانى النحو (٤ / ٣٢٢).

(٣) ينظر: الجوانب النفسية في أسلوب النداء ص ٢٩.

(٤) التحرير والتنوير (١٥/٩) .

(٥) ينظر معانى النحو (٤ / ٣٢٥).

النهاية بهذا القرب المعنوي؛ لأنه يسير في هذه الآيات جميعها مسير التأديب لا التأنيب.

وهذا المزيج من الخوف والرجاء (الترغيب والترهيب) كفيل بإثارة الدافع القوى لدى المسلمين لتعلم ما جاء به الإسلام من نظام جديد في الحياة وما تضمنه ذلك من عقائد وقيم جديدة وأساليب جديدة في التفكير والسلوك[١] .

والخوف والرجاء بقوتهما تلك وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه يوجهان في الواقع اتجاه حياته، ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف، وقدر ما يرجو ونوع ما يرجو يتخذ لنفسه منهج حياته ويوفق بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف[٢] .

وهكذا يتضح لنا أن النداء كما فهمناه في اللغة دعوة موجهة من المنادى إلى المنادى وتتضمن هذه الدعوة وجوهًا واضحة صريحة يقصد المتكلم إيضاحها وإبلاغها كما تتضمن معاني خفية إن جاز التعبير ترتبط بالجوانب النفسية لكل من المنادى[٣] والمنادي ولا تخفى أبعادها في الكلام كما يشتمل عليه من قرائن تشير إلى الغرض المقصود – ويستوجبها مقتضى الحال[٤].

أسلوب الشرط وأثره النفسي في الواقعتين:

من أنواع الترابط في العربية ما سماه بعض المحدثين ترابط الترتيب ويعنى به «أن يتوقف أحد أجزاء الكلام على جزء آخر بحيث تكون البنية الأساسية لأحد

---

(١) القرآن وعلم النفس ص ١٧١.

(٢) منهج التربية الإسلامية – قطب – ص١٢٨ و ١٢٨ .

(٣) لا شك أن النداءات القرآنية الموجهة من الله إلى عباده ترتبط ويبحث فيها في الجوانب النفسية للمنادى فقط إذ لا يقدر بشر على معرفة ما في نفس الله عز وجل.

(٤) النداء في اللغة والقرآن ص١٦٠.

الجزأين أو لهما معًا جملة اسمية أو فعلية، سواء أكان المنطوق جملة في ظاهره أم مفردًا، وبحيث تكون العناصر اللغوية التي تقيد هذا الترتيب مطردة في الدلالة عليه»[١].

ومن هذا النوع الأسلوب الشرطي حيث يكون دائمًا جواب الشرط مترتب الحدوث على فعل الشرط إن حدث الأول حدث الثاني، وذلك من خلال مجموعة من الأدوات «وتقوم هذه الأدوات بالربط بين طرفي الجملة التركيبية سواء أكانت جازمة أم غير جازمة، وتفيد الدلالة على علاقة الشرط القائمة على معنى الاستلزام»[٢].

ولكن ليس الشرط من باب السبب والمسبب دومًا وإنما الأصل فيه أن يكون كذلك[٣]

والآيات موضع البحث تكرر فيها الشرط كثيرًا في آيات الأحزاب وكذلك في التحريم حسب الجدول التالي:

الاحزاب	التحريم
إن كنتن .... فتعالين وإن كنتن ... فإن الله من يأت... يضاعف . من يقنت... نؤتها إن اتقيتن...	إن تتوبا... فقد صغت إن تظاهرا ... فإن الله إن طلقكن ... أن يبدله

(١) بنية الجملة العربية ص٢١٠.

(٢) أنظمة الربط في العربية ص ٢٥.

(٣) ينظر: معانى النحو(٦٢/٤).

ويلاحظ أن موضع الأحزاب جاء الشرط فيه أكثر وأصرح، حيث ورد خمس مرات، جاء تام الأجزاء في أربعة منها، وأما في التحريم فقد جاء ثلاث مرات حذف فيها جواب الشرط وذكر ما يدل عليه، وهذا الجواب أو ما يسميه البعض بالعبارة الجوابية «هي أكثر أجزاء الجملة الشرطية تعرضًا للحذف، وتحذف إذا دل عليها دليل أو كانت معروفة لا يحتاج إلى ذكرها أو كان لحذفها غرض بلاغي، مثل دفع الذهن إلى تصور عظمة أمر ما»[١].

والذي يظهر لي أن أساليب الشرط كثرت في موضع الأحزاب لأنه موضع تخيير، والتخيير مما يحسن فيه بيان الأمور وجزائها؛ حتى يكون المخيَّر على بينة من اختياراته فلا يبقى في النفس مجال للتردد.

ويدل على سياق الاختيار ما عزاه الطاهر بن عاشور إلى دلالة لفظ تردن الذى «يؤذن باختيار شيء على غيره»[٢]

وهذه الشروط التي ظهرت النتائج المترتبة عليها في الشروط الأربعة الأولى تصب نفسيًا في تنمية جانب الإدراك لدى المخاطب بما أودعه فيها من عوامل إثارة الدافعية لاختيار منهج معين أو نتيجة معينة كما في الشكل التالي:

تردن الحياة	←	أمتعكن وأسرحكن
الله ورسوله والدار الآخرة	←	الأجر العظيم
القنوت لله	←	مضاعفة الأجر مرتين
الفاحشة	←	مضاعفة العذاب

(١) الجملة الشرطية عند النحاة ص ٣٤٠.

(٢) التحرير والتنوير (٩٤٣/٨).

وهنا« يقوم العقل بتفسير ما يستقبله ويكامل بينه»[١] .

ونجاح الدافع يعتمد على إدراك متكامل وفق المعادلة التالية: الميل للنجاح = الدافع للنجاح + احتمالية النجاح + قيمة النجاح [٢].

وقد توفر هذا في أسلوب الشرط في موضع الأحزاب، فأول دافع هو إضافتهن إلى النبي ﷺ إضافة تشريف تدفعهن لامتثال الخير ﴿ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾ الأحزاب: ٢٨ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ﴾ الأحزاب: ٣٠

فالدافع هو الذي يحرك الإنسان بمثير ذاتي داخلي أو خارجي؛ ليقوم بنوع معين من السلوك مدة محددة، حتى إذا تم إشباع الحاجة زال التوتر النفسي وعاد إلى مرحلة الكمون...، فالدوافع هي أساس الحياة النفسية للإنسان ومصدرها[٣].

يلاحظ كذلك استعمال المتقابلات الشرطية في السورة

إن كنتن تردن الحياة الدنيا ... وإن كنت تردن الله ورسوله

من يأت منكن بفاحشة ... ومن يقنت منكن لله ورسوله

وهذا ما سماه بعض الباحثين العلاج بالأضداد؛ لسد المنافذ على هجوم الأمراض والآفات النفسية، كما إنها في الوقت ذاته تعاون على جلب الفضائل والأخلاق القويمة[٤]، ويؤدى التضاد الى توجيه انتباهنا وادراكنا[٥].

---

(١) أسس علم النفس العام ص ١٦٨.

(٢) بنظر علم النفس الدافعي ص ٤٠٤ .

(٣) لمحات نفسية في القرآن الكريم ص١٠٣ و ١٠٤.

(٤) نحو علم نفس إسلامي ص٣١٨.

(٥) أسس علم النفس العام ص ١٦٩.

من هنا يتبين أن أسلوب الشرط في سورة الأحزاب قد أدى أهدافًا نفسية واضحة تمثلت في إثارة الدافعية بما بيَّنه من جزاء لكل شرط دون حذف جوابه كما ساهم ذكر الجواب والجزاء في وضوح الإدراك للمخاطبين بهذا الكلام وهن أزواج رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن.

يقول الشيخ أبو موسى «انظر إلى سياق الوعيد، وسياق الوعد، وكيف تزاحمت الكلمات الشديدة والمخيفة في الآية الأولى، وجاءت فيها: الفاحشة المبينة ومالها من وقع بشع، وقوله: العذاب، وما وراءه، من إيجاع وتنكيل وإهانة وقوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ الأحزاب: ٣٠ وما يفيده من تراكب ألوان العذاب ومضاعفاتها التي لا تتناهى، وما وراء ذلك من غضب ممدود، ثم انظر إلى الكلمات الوضيئة في سياق الوعد، تجد القنوت و ما وراه من شفافية باصرة وضاحة، والله والرسول، وما وراء ذلك من سكينة القلب وقرار النفس، تم تجد العمل الصالح، والرزق الكريم، وكلها كلمات تبعث في النفس معاني الرضا والطمأنينة، وتملأ القلب شعورًا بالخير والأمل[١].

الشرط في موضع التحريم

نقل السمين الحلبي في الشرطين في الآية الرابعة من سورة التحريم عدة آراء حول كون الجواب محذوفًا أو هو ما في الآيات[٢] لكن الراجح في نظر الباحث أن الجواب محذوف، وهذا ما رجحه الزركشي عند قوله: «وصغو القلوب هنا لأمر قد وقع فليس يتوقف على ثبوته، والجواب أن هذه في الحقيقة ليست أجوبة وإنما جاءت عن الأجوبة المحذوفة لكونها أسبابًا لها»[٣].

---

(١) من أسرار التعبير القرآني ص ٢٧١.

(٢) ينظر الدر المصون (٣٦٥/١٠).

(٣) البرهان (٣٥٥/٢).

ومن ذكروا أن الجواب هو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤ ذكروا له تأويلًا وهو لازم معناه وليس ظاهر معناه وكأنه قال أيضًا: إن الجواب محذوف، فالحذف هو الأولى هنا بالقبول.

وقد ذكر ابن الحاجب الرأيين فقال: إن تتوبا إلى الله يعلم براءتكما من إثم هذا الصغو؛ لأن الخبر بالصغو سبب لذكره، وذكره متوبًا منه سبب للعلم ببراءتهن من إثمه، فاستغنى بسبب السبب، ولو قيل إن جواب الشرط في الآية محذوف للعلم به أي: إن تتوبا إلى الله يمحُ إثمكما، أو يعفُ عنكما، ثم قيل: فقد صغت قلوبكما، جوابًا لتقدير سؤال سائل عن سبب التوبة الماحية. فإن قلت: كان يلزم على ذلك أن يقال: فقد صغت قلوبهما، قلت: إذا كان الجواب في التحقيق حاصلًا فلا فرق بين الأمرين في ذلك، وهو كذلك أحسن هنا؛ لأن ما ذكرناه أمر تقديري، ألا ترى أنك لو قلت أنا أحسن إليك؛ لأنك أحسنت إلي، كان أحسن من: لأنه أحسن إلى؛ لأنه رجوع إلى خطاب من لم يذكر عن مخاطب مذكور»[(١)].

وما ينطبق على الشرط الأول ينطبق على الشرط الثاني في السورة "وإن تظاهرا..." فإن كون رب العزة مولى للرسول ليس مرتبطًا بالشرط ولا مترتبًا عليه، وإنما هو دليل على الجواب المراد وإشارة إليه، ولنا أن نتساءل عن السبب في حذف الجواب والمعاني النفسية التي يؤديها.

وقد ذكر العلماء أن من المواضع التي يكون فيها الجواب محذوفاً أن يكون الجواب (المذكور) ليس مسببًا عن الشرط[(٢)] ويحدث ذلك بوجود كلام يتضمن معنى الجواب أو يدل عليه [(٣)] .

---

(١) أمالي ابن الحاجب (٢٥٥/١).

(٢) ينظر: الجملة الشرطية ص ٣٤٦.

(٣) ينظر السابق ص ٣٥٥.

والحذف في الصورة التي معنا هو من هذا القبيل، فالغرض الواضح من الحذف هنا هو التعظيم والتهويل «وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب، وإنما يحذف لقصد المبالغة؛ لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقع ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصًا إلا بعد العلم بالسياق»(١).

ومن وظائف الحذف النفسية إهمال المحذوف وعدم الاهتمام به من قبل من ألقي إليه، فيأتي الحذف ليصور أنه كما كان القول مضمرًا في واقع المرء هذا فكذلك قد أضمر في الجملة التي تعبر عنه(٢).

وهذا يناسب المقام النفسي الذي رافق هذه القصة فهذا الميل وتلك المظاهرة على رسول الله ﷺ أمر عظيم فناسبه حذف الجواب وذكر ما يدل على عظمة الأمر (فقد صغت/ فإن الله هو مولاه) وهذه أمور تبعث الخوف والقلق في النفوس المؤمنة، وتجعلها تعود الى الرشد، واتباع الحق، والعدول عما سببت تلك الغيرة من أذى للنبي ﷺ .

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: «ولم نرَ مثل هذا العون والعصمة والتأييد الرباني لأحد من الأنبياء والرسل وسائر البشر للمبالغة في تعظيم شأن النبي ﷺ والتخلص من مكر النساء»(٣).

ويؤيد ذلك ما قاله أيضا محمد عزت دروزة: «وأما الآيتان: الرابعة والخامسة فقد احتوتا إنذارًا يتضمن معنى التنديد أيضًا موجها لزوجات النبي عامة (الآية

---

(١) البرهان (١٨٣/٣).

(٢) ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٣٢٦ و ٣٢٧.

(٣) التفسير المنير (٣٠٩/٢٨).

الخامسة) ولاثنتين منهن خاصة (الآية الرابعة) كما احتوتا تأييدًا وتطمينًا»[1].

وكذلك لما كانت حالة التعاون عليه والتظاهر تشبه حالة من أهمل هذه الأمور ولم يتنبه لها بحيث تكون زاجرة له عن هذه الفِعال أهملت في الذكر لمزيد من الإلماح لعاقبة نسيان هذه الأمور وعدم التنبه لها .

فالشرطان قد حويا إلماحًا وتهديدًا وتطمينًا وحذف الجواب يلائم الحالة النفسية لجهتي القضية، وحذف الجواب كان مُعينًا على تنوع جهات التهديد والتأييد ففي "وإن تظاهرا" يمكن أن يتوقع الجواب من طرف أزواجهﷺ فسيعذبكم مولاه، فسينصره مولاه، سيظهر كيدكن مولاه، سيأمره الله بتطليقكن والزواج بخير منكن وهلم جرا.

في شأن تطمين وتأييد النبي ستنوع البشريات، فسينصرك الله، سيعاونك الله والملائكة والمؤمنون، سيبدلك الله خيرًا منهن .

وهكذا أدى هذا الأسلوب الى تكثير معانى الجواب، وهكذا تذهب نفس السامع كل مذهب في تصور المحذوف وتقديره ويتتبع كل الجهات للوصول إلى الهدف المراد[2]

أساليب الخبر والإنشاء وأثرهما النفسي:

الجملة الخبرية هي المحتملة للتصديق والتكذيب في ذاتها بغض النظر عن قائلها، فكل كلام يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب فهو خبر، فإذا كان الكلام صادقًا لا يحتمل الكذب أو كان كاذبًا لا يحتمل الصدق أو كان يحتملهما فهو خبر. فقولك (السماء فوقنا) و(شربت البحر) و(أسافر غدًا) كله خبر.

---

(١) التفسير الحديث (٨/٥٣٠).

(٢) ينظر: أسلوب الحذف في القرآن الكريم ص ١٧١.

وأما الإنشاء فهو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب وهو على قسمين: الإنشاء الطلبي وهو ما يستدعى مطلوبًا؛ كالأمر، والنهي، والاستفهام، والإنشاء غير الطلبي وهو ما لا يستدعي مطلوبا؛ كصيغ العقود وألفاظ القسم والرجاء ونحوها(١).

ولكل أسلوب من الأساليب مطلوباته ودلالاته، فأسلوب الإنشاء يستدعى حصول أمر غير موجود، بخلاف الخبر الذي هو إعلام بما هو حادث فعلًا.

وإذا تأملنا الموضعين اللذين معنا رأينا غلبة الأسلوب الإنشائي في موضع سورة الأحزاب يتمثل في العبارات التالية:

قل لأزواجك- فتعالين أمتعكن - فلا تخضعن بالقول- وقلن قولاً معروفا - وأقمن الصلاة - وآتين الزكاة- وأطعن الله ورسوله- واذكرن ما يتلى في بيوتكن.

وهذا يناسب السياق النفسي والتربوي في الآيات؛ لأن المقام مقام تهذيب وتربية لأنفس زوجاته ﷺ وللمؤمنات من بعدهن؛ ولذلك جاءت جل هذه الأوامر والنواهي في ختام القصة وذلك بعد أن اختارت زوجات رسول الله ﷺ الله ورسوله والدار الآخرة وعَدَلت نفوسهن عما طالبن به من أمور دنيوية "والقرآن الكريم يقدم لمواقفه النفسية عوامل الثبات والتعزيز لِما كان خيرًا، كما يحدد أساليب الوقاية والعلاج لما كان شرًا"(٢).

ولأجل التربية بدأ «الدرس بالتنويه والثناء على أمهات المؤمنين ورفع منزلتهن جميعًا»(٣). ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الأحزاب: ٣٢

(١) الجملة العربية تأليفها وأقسامها ص ١٧٠.
(٢) شخصية المرأة ص١٥٢ .
(٣) من أسرار التعبير القرآني ص ٢٧٧.

وهذا الثناء قبل التوجيهات يجعل النفس في نشاط وهمة لتنفيذ ما يلقى إليها من توجيهات، وهنا يزاوج الأسلوب بين الأهمية والثقة المتمثلة في أمرين:

يا نساء النبي ⟵ أهمية مكانتهن وعظم قدرهن.

لستن كأحد من النساء ⟵ أهمية وثقة في قدرتهن على التزام ما سيأتي بعد، ورفع لشأنهن.

والأهمية والثقة مكونان للدافعية الذاتية للتغيير كما يرى علماء النفس[1]، و"إذا استطاع الفرد إشباع أي دوافع من دوافعه المختلفة بيولوجية كانت أم سيكولوجية بمجرد الإحساس به فإن هذا الإجراء من شأنه أن لا يثير في نفسه أي إحباط أو صدود، وبالتالي لا ينتج أي صراع نفسي"[2] وهذا يمهد ويبنى في النفس قابلية ما سيلقى لها من تكاليف متمثلة في جملة كبيرة من الأوامر والنواهي التي في الالتزام بها تهذيب للنفس وبيان للوجهة السليمة لها؛ ولذلك علل القرآن هذه الأوامر وتلك النواهي بعللها لترسخ في النفس أكثر و تتبين عظم التزام الأوامر و ثمرة اجتناب النواهي وختمها بالغاية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب: ٣٣ .

إن صيغ الأمر سواء المتضمنة معنى القول أو العمل تحدد وضعية الذات المخاطَبة المأمورة التي تقف موقف الخضوع والتسليم والانصياع للذات المتكلِّمة الآمِرة المهيمنة في الخطاب[3]؛ ولذا يقول الباحثون في علم النفس: «وخروج الإنسان متكاملًا، واعيًا عارفًا بربه سليمًا في معاملته مع إخوانه غاية في التربية

(١) ينظر: مقابلة الدافعية ص ١٠٢.

(٢) الدوافع النفسية ص١٤٠ .

(٣) الخطاب والتلقي (١/١١٥).

الإسلامية، ولكى تتحقق هذه التربية تنطلق من محركين أساسيين: محرك ترغيب ومحرك ترهيب، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى وتميل إلى الشهوة، وتركن إلى تحقيق ذلك ركونًا عظيمًا، بما أودع في جبلتها من صفات... لذلك وجب تحريك محرك الترهيب للقضاء على هذه الآفات أولًا بأول؛ حتى لا تعتاد عليها النفس، كما تقوم التربية الإسلامية على محرك الترغيب فيما يتعلق بالأفعال المحسوسة، والعلوم النافعة، والقدوة الحسنة؛ حتى يتحلى بها باطن الإنسان، فتصبح هذه الأفعال هدفاً وغاية وسلوكاً، ولكى يتم تطبيق ذلك عمليًا يتوجب تحلية النفس بالأوصاف المحمودة وتخليتها عن الأوصاف المذمومة»[١].

ولأجل زرع هذه القابلية للدافعية والتربية الرشيدة جاءت الآيات بأسلوب الأمر والنهى للمخاطب[٢]، فقد اتجه الخطاب إليهن بلا واسطة؛ وذلك لخطورة الأمر الذي جاء الخطاب من أجله، وهو معالجة قضية من أعضل القضايا التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية وهى قضية الأخلاق وسلوك النساء ولذا آثر لفظ النساء ولم يذكرهن بلفظ الأزواج[٣] وقد تولى الله خطابهن بعد أن أمر رسوله بتخييرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة؛ لأنهن أصبحن على عهد من الله بأن يؤتيهن أجرًا عظيمًا، وصدر النداء والأوامر كلها بلفظ يا نساء النبي ليعلمن أن ما سيلقى إليهن خير يناسب علو أقدارهن[٤].

---

(١) نحو علم نفسى إسلامي ص ٢٧١.

(٢) للأمر والنهى طريقان في القرآن الكريم أسلوب المخاطب كما في الآيات وأسلوب الغائب كما في الآيات ٣١ من سورة النور و٥٩ من سورة الأحزاب.

(٣) ينظر: من أسرار التعبير القرآني ص ٢٦٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير(٨/٩٤٥).

فقد أسهم أسلوب توالى الأوامر والنواهي في جعل النص ملائمًا للمقصد المراد من تنمية الدافعية للتربية والتهذيب، كذلك وازن بين أمرى الترغيب والترهيب في تحقيق الهدف المراد.

وحتى لا يكون الأسلوب كله أسلوب تكليف حاطه القرآن بأنواط تشريف؛ لتحقيق الامتثال والرضا النفسي وهي:

١- الانتقال إلى مخاطبة نساء النبي بلا واسطة واستعمال أسلوب الأمر والنهى بصيغة الخطاب المباشر بلا واسطة.

٢- تصدير التوجيهات بـ "نساء" مضافًا للنبي.

٣- البدء بالثناء عليهن: لستن كأحد من النساء.

وقد كان في توالى الأساليب الإنشائية وتنوعها نصيب للعاطفة فيها، «ونصيب العاطفة من هذا البيان جانبان: ١- أن يذكر الأمر الأوْلى بالاعتبار فيثير القرآن في العاطفة مشاعر النبل للإقبال عليه والعمل به ٢- أن يذكر الأمر الأولى بالترك أو الذي لا يليق فيثير فيها مشاعر النفور لتنأي عنه»[١]

في سورة التحريم:

إذا نظرنا إلى موضع التحريم وجدنا الأسلوب الخبري هو الأسلوب السائد في الآيات موضع الدراسة وحين جاءت الأساليب الإنشائية جاءت خارجة عن معانيها الحقيقية إلى معان مجازية خبرية[٢]، وتعدد الجمل الخبرية: تبتغى مرضات أزواجك / الله غفور رحيم/ قد فرض ... والله مولاكم، وهو العليم ...إلخ.

---

(١) خصائص التعبير القرآني ص ٤٢٥.

(٢) كما حدث في الاستفهام في أول السورة "لم تحرم ما أحل الله لك؟" فهو ليس على حقيقته بل هو في معنى النفي أي لا يوجد داع إلى أن تحرم على نفسك ما أحله الله لك، وكما في ←←←

والسبب في إيثار هذا الأسلوب الخبري أن القرآن اختار أن يعرض هذه القضية في صورة قصة حدثت، فمدارها الإخبار، وذلك ملائم للأبعاد النفسية؛ لأن الواقعة تشمل أكثر من بعد حواري حدث:

١- حوار حفصه وعائشة.

٢- حوار الرسول ﷺ وحفصة.

٣- إفشاء سر رسول اللهﷺ من حفصة لعائشة.

٤- إخبار الرسول ﷺ لحفصة بعلمه بما حدث منها من إفشاء الكلام.

ويأتي دور الموقف النفسي في القصة واضحًا جليًا من حيث إنه جزء أساسي منها، فهو يمثل مرحلة مهمة تتفاعل فيها شخصيات القصة في ذروة التفاعل الانفعالي إتمامًا لتوترهم السلوكي(١)

وعرضًا لكل هذه الحوارات النفسية من أجل بيان الخلل والعواقب اختار القرآن منهج القصة الواقعية، «وهذا النوع من القصص القرآني يعالج أحداث السيرة من واقع حياة الجماعة المسلمة وبخاصة في العهد المدني، فيحكي لهم قصة معركة خاضوها أو حكاية موقف عاشوه، لا لمجرد التسجيل التاريخي، ولكن للعبرة والعظة والتوجيه، فيصور لهم تلك الأحداث في صور تبرز مواطن القوة والضعف، وأسباب النصر والهزيمة، وتكشف عن الخواطر وهمسات الصدور، ويقلبها ويناقشها وهي معروضة في النور، ويردها إلى أصولها ودواعيها، فتتم العبرة من تلك الأحداث، وتتم

←←←

الاستفهام في "من أنبأك هذا؟" إذ قد يجوز أن يكون للتعجب، ينظر التحرير والتنوير (١١/٦٤٢ و ٦٣١).

(١) شخصية المرأة في القرآن الكريم ص١٥١ و ١٥٢ .

التربية في ظلها وفي حرارتها، مما يكسب الجماعة المسلمة مزيدًا من الخبرة والقوة والنضوج»[١]

ونجد في هذا القصص القرآني نوعًا من تحليل النفس وما يعتريها من ميول، وما استعمله القرآن من عوامل التأثير النفسي لمقاومة هذه الآفات النفسية والوقاية منها[٢].

فقد عرض القرآن الواقعة في صورة قصصية خبرية في إشارة و ملخص عابر وركز في الحوار على الآثار النفسية المتمثلة في محاولة النبي ﷺ إرضاء أزواجه، ثم الاطلاع على السر الذى أفشته حفصة، ثم النظام والتعاون من قبل السيدتين –رضي الله عنهما– والتظاهر عليه، وقد رأينا في القصة كلها ما يبعث في نفوسهن مظاهر الخوف والرهبة مما فعلن محلها، ولعل هذا هو السر في اختيار الأسلوب القصصي الخبري؛ لأنه "إذا نحن استعرضنا ما قصه القرآن من أخبار الأولين لاحظنا أنه يحمل في جملته بواعث الخوف أكثر من بواعث الأمن بحيث إن الترهيب أكثر من الترغيب"[٣].

ولذلك نرى نبرة الترهيب ترتفع في الآيات في آخرها لتصل إلى التذكير بأكثر شيء تنفر من الزوجة وهو طلاقها واستبدال غيرها بها ونلاحظ أن هذا التهديد جاء بعد التحذير من العقوبات الأخروية التي تركها القرآن دون ذكر ليذهب العقل فيها كل مذهب، وليست عسى هنا للرجاء وهو أسلوب إنشائي بلاغي للتحقيق وإنما استعملت لأن هذا التبدل إنما هو مفترض ولبس واقعًا إذ من المتوقع منهن الارعواء عما

(١) منهج القصة في القرآن ص ٢٧.
(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن ص٢٧١.
(٣) السابق ص٤٥٠.

حذرهن الله منه[١] وهو تهديد لهن لا بد أنه كان له ما يقتضيه من تأثير مكايدتهن في قلب رسول الله ﷺ وما كان ليغضب من قليل[٢] وقد اختصر القرآن القصة في بضع جمل خبرية تنبئ عن الغرض وراء كل فعل ولم يبسط القضية بل هي إشارات خاطفة لكل حادث ثم اهتم بعد ذلك بالغاية وهي﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ التحريم: ٦

والأسلوب الخبري ناسب السياق النفسي هنا الذي أدى لهذا الموقف كاملًا والمتمثل في الغيرة، ولأن في الموقف إغضابًا شديدًا للنبي ﷺ جاء الأسلوب الخبري حاملاً قدرًا كبيرًا من التهديد متمثلا فيما يأتي:

١ – نبأني العليم الخبير العليم بما فعلتن الخبير بما في نفوسكن وهو تهديد تمثل مظهره العملي في إطلاع الله نبيه ﷺ على ما أفشت السيدة حفصة مما أسره إليه النبي فهو «العليم بجميع الأقوال والأفعال والأحوال، الذي وسع كل شيء علمًا الخبير ببواطن الأمور فضلاً عن ظواهرها»[٣].

٢ – الالتفات في القصة من الغيبة إلى الخطاب "إن تتوبا..." «للمبالغة في المعاتبة، فان المبالغ في العتاب يصيِّر المعاتب أولًا بعيدًا عن ساحة الحضور، ثم إذا اشتد غضبه توجه إليه وكاشفه بما يريد» [٤].

٣– أسلوب الشرط محذوف الجواب، وهو يؤدى إلى احتمال تنوع الإجابات مما يبعث في النفس الخوف.

٤– التهديد بالطلاق وأن يبدله بهن أزواجًا فيهن كل سمات الجمال الديني والخلقي.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير(١١/٦٣٧).

(٢) الظلال (٦/٣٦١٧).

(٣) المرأة في القصص القرآني ص٨٣٨،٨٣٩.

(٤) روح المعاني(١٤/٣٤٧).

وهكذا «تعرض لنا هذه الآيات الكريمة صفحة من الحياة البيتية لرسول البشرية ﷺ وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته ﷺ»[1] .

أساليب التوكيد وأثرها النفسي:

يحتاج المتكلم أحيانًا إلى بيان قيمة ما يلقى من كلام وإكساب بعض المواضع فيه قيمة أكبر من باقي الكلام، فيلجأ إلى استعمال أدوات وأساليب تؤكد الكلام في ذهن المتلقي.

والتوكيد هو تمكين المعنى في النفس وتقويته، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات التي ترد على الكلام[2].

وقد تنوعت أساليب التوكيد في العربية حسب السياقات والدلالات الإيحائية المراد إيصالها «وحاصل القول – في ذلك – أن التوكيد في النحو العربي يتأتى بطرق متعددة؛ وذلك لتنوع ما يدخله التوكيد من كلام العرب؛ سواء أكان حديثًا أم محدثاً عنه؛ إذ إن المراد توكيده قد يكون كلمة مركبة تركيبًا إسناديًا في جملة اسمية؛ أو جملة فعلية، وقد يكون جملة اسمية؛ يراد توكيد الإسناد فيها؛ أو تأكيد مضمونها؛ و تأكيد المعنى فيها بحرف زائد، وقد يكون جملة فعلية؛ يراد توكيد النسبة فيها؛ أو تأكيد المعنى المراد منها بحرف زائد، ومن ثم تنوعت أنماط اساليب التوكيد التي قعدها النحويون»[3].

وقد حُصِرت أسباب التوكيد في أمور ثلاثة: التوكيد بالأدوات، التوكيد عن طريق

---

(١) المرأة في القصص القرآني ص٨٤٣.

(٢) اسلوب التوكيد في القرآن الكريم ص ١٣.

(٣) التوكيد في النحو العربي ص٧ .

التكرار، التوكيد عن طريق القصر وطرقه[١]، وزاد بعضهم التوكيد بالترتيب من خلال تقديم بعض أركان الجملة على بعضها[٢].

وإذا استعرضنا مواضع سورة الأحزاب وجدنا أن صور التوكيد فيها تنوعت على النحو التالي:

أ- التوكيد بالمصدر وما ينوب عنه: ووظيفته توكيد وقوع العامل (الفعل) وهو توكيد يعد من باب التوكيد اللفظي[٣]؛ لأن في تكرار اللفظ تأكيدًا من ناحية وقرينة على نشوء علاقة ارتباط من ناحية أخرى[٤]، والتوكيد هو القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق ويراد به تعزيز المعنى الذي يفيده الحدث في الفعل وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته؛ لأن المصدر هو الحدث، ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل "فإذا ما وجد الفعل مع المصدر في جملة أو عبارة فإن الفعل –أي الحدث– كأنه كُرر مرتين أي ذُكر الحدث مرة في الفعل ومرة أخرى في المصدر، وهذا التكرار مراد به التوكيد"[٥].

وقد جاء ذلك في عدة مواضع في الأحزاب وهي:

١- التأكيد في الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾. **الأحزاب: ٢٨**

وقد جاء المصدر هنا في إطار التخيير مؤكدًا للفعل حتى لا يتسرب لنفس أزواجه أن في هذا الطلاق مضرة دنيوية لهن أو عقابًا على ما طلبن، فجاء ليحقق

---

(١) ينظر: تصريف القول في القرآن ص ١٢٠.

(٢) أسلوب التوكيد اللغوي ص٨.

(٣) المفعول المطلق ص ٢٣.

(٤) نظام الارتباط والربط ١٧٦.

(٥) أسلوب التوكيد في القرآن ص٨١.

التوازن النفسي الذي يجعلهن يخترن دون مظنة ضرر دنيوي، "فهو طلاق من غير ضِرار ولا مخاصمة ولا مشاحنة"[١].

إنه تخيير لهن من الرسول بأمر ربه بين أن يطلق الرسول سراحهن ويمتعهن متعة المطلقات؛ لتأخذ كل واحدة منهن حظها الذي تقدر عليه من متاع الحياة الدنيا خارج بيت النبوة، وبين أن يرضين الحياة مع رسول الله على تلك الحال التي هن فيها[٢] وفي هذا التخيير والتأكيد إراحة لأنفسهن من مخافة أي ضغط أو توقع مضرة من اختيارهن، وهذا ما يؤكده أيضاً فعل الرسول ﷺ فقد بدأ التخيير بعائشة رضي الله عنها وطلب منها أمرين:

١- أن لا تعجل في الأمر.

٢- أن تستأمر فيه أبويها[٣].

ويدل هذا على حرصه ﷺ على السلامة النفسية والخلو من الضغوط عند أخذ قرار الاختيار.

وهذا التأكيد يراعى الحاجة إلى الأمن النفسي الذي يمثل حاجة للنفس البشرية والنفس المسلمة خصوصًا، فهي نفس تطالب بأن يحبها الآخرون ويودوها ويحسنوا بها الظن، وأن لا تتعرض لأي أذى من أي سلطة أو جماعة أو فرد يعرضها للأذى[٤].

---

(١) تفسير المراغي (١٥١/٢١) .

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦٩١/١١) .

(٣) ينظر الحديث بتمامه في البخاري كتاب التفسير- باب يا أيها النبي قل لأزواجك برقم (٤٧٨٥) (١١٧/٦).

(٤) دراسات في علم النفس الإسلامي ص٢٧٣.

من أجل كل هذا جاء الطلاق أولًا غير مصرح به بل بلفظ من كناياته كما سبق، ثم جاء هذا اللفظ خفيف الوقع مؤكدًا بمصدره، ثم وُصف المصدر بالجمال زيادة ومبالغة في تأكيد نفى كون هذا الأمر فيه ضغط نفسي أو تهديد مبطن إذا ما اخترنه، وهو إن حدث فإنه يسلب المخيَّر قيمة التخيير أصلًا.

٢- التأكيد في العذاب والثواب ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ الأحزاب: ٣٠ ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ الأحزاب: ٣١ أكد العذاب والثواب في الآيات بالنائب عن المفعول المطلق (العدد) [١] في كليهما (ضعفين – مرتين) ولا بد من ملاحظة ما يلي: أولاَ أن هذا التوجيه كان بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، قال الطاهر:« تولى الله خطابهن بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة»[٢].

وهنا أصبحت النفس متهيئة لمعرفة ما لها وما عليها، فبدأ الترهيب مؤكدًا بأن على المسيئة منهن ضعف عذاب ما على أي مسلمة أخرى.

فإنّ المُراد مِن المصدر هنا هو توكيد الحَدَث بذكره، مَرّتين، فَهو عَوّض عَن تكرار الفعل مرّتين؛ لأنّ الفعل يَدل عَلى شَيئين: الحَدَث، والزَّمان، والمُراد توكيد الحدث فقط، وتقرير معناه، ولو ذُكِر الفعل لكان تكرارًا لِلجُملة، إذ الفعل يحتاج إلى فاعل، وبهذا تكون الجُملة هي التي كُرِّرَت لا الفعل فَقَط، فَجيء بالمَصدَر عِوَضًا عَن هذا كُلَّه وعَمّا لا حاجة إليه في الكلام[٣] .

---

(١) حتى وإن كان الغرض بيان العدد في المفعول المطلق هنا فإنه أيضًا لا يخرج عن المقصد العام للمفعول المطلق وهو تأكيد حدوث الأمر سواء أكان مرة كما في المفعول المطلق غير العدد أم كان في التأكيد بالعدد فهو تأكيد وبيان .

(٢) التحرير و التنوير (٨/٩٤٥).

(٣) أسلوب التوكيد في القرآن ص٨١.

وهذا ترهيب وترغيب في الوقت ذاته فالترهيب هو ما قاله الله تعالى «متهددًا على ما قد أعاذهن منه»[١]، وهذا ترهيب وقد قدمه لأن التخلية في التهذيب مقدمة على التحلية، ومع هذا فإن فيه رفعًا كبيرًا لدرجاتهن ومقامهن، «وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف، وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات»[٢] وعلى قدر علو المقام يكون الملام[٣].

وكما أكد في جانب العذاب أكد في جانب الثواب بالعدد "مرتين" «لأن المراد إظهار شرفهن ومزيتهن في الطاعة والمعصية بِكَوْن حسنتهن كحسنتين، وسيئتهن كسيئتين»[٤]، فقد كافأهن الله على استقامة نفوسهن ورضاهن بما يرضي رسول الله ﷺ بالرفعة مرتين وبالترهيب مرة، فالترهيب في البدء بالعذاب والرفعة في مضاعفة العذاب وفي مضاعفة الثواب.

وهذا ما سماه أحد الباحثين بالتقدير الإلهي في مقابلة مصطلح التقدير الاجتماعي وهو أمر مرتبط بحاجة النفس إلى المكافأة وأن يثمن الآخرون إنجازات الشخص التي يحتفظ بها لنفسه أو يقدمها إلى الآخرين وأن يمنحوه المكافأة المعنوية لإنجازه متمثلة في تحقيق السمعة أو المكانة الاجتماعية التي تتناسب وحجم الإنجاز [٥] .

---

(١) نظم الدرر (١٥/٣٣٩).
(٢) فتح القدير(٤/٣١٨).
(٣) نظم الدرر (١٥/٣٤٠).
(٤) فتح القدير(٤/٣١٩).
(٥) ينظر دراسات في علم النفس الإسلامي ص٢٠٨،٢٠٩.

٣ – في بيان علة الأوامر والنواهي ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣

جاء ختام الآية الكريمة التي حوت عددًا كبيرًا من الأوامر والنواهي بهذا التوكيد الذى هو آخر قمة «تحقيق السمعة العالية»[١] لهؤلاء الزوجات اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فجاء هذا التوكيد ليرفع هذه النفس التي انصاعت لأمر الله ورسوله الى أعلى درجات الرقي بعد الامتثال والطاعة، «فالعِرض معها نقي كالثوب الطاهر»[٢]، وفي هذا التوكيد ما يرفع همة نفوسهن نحو الامتثال والطاعة فهو يزيد دافعية النفس نحو قبول الأمر والمبادرة إلى تنفيذه وهو ما يسمى في علم النفس بالباعث الذي هو مرافق خارجي متمثل في وجود جائزة أو مكافاة فيستجيب لها الدافع الذي هو قوة داخل الفرد[٣]، وهو حالة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة حتى ينتهى إلى غاية معينة[٤]، وهي هنا تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي السابقة.

ومن هنا ندرك أن المفعول المطلق ونائبه قد أديا وظيفة دلالية متمثلة في توكيد الحدث، وقد أدى هذا إلى وجود محفزات نفسية تمثلت في إضفاء سمات الرفعة والسمو على زوجاته ﷺ وهو ما يصب نفسيًا في اتجاه إثارة الدافع نحو تنفيذ الهدف المطلوب، ويؤدي إلى سرعة الاستجابة وحُسن الامتثال.

ب - التوكيد بـ "إنما": ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ ﴾. الأحزاب: ٣٣

إنما حرف مركب من «إنَّ»، و«ما»، إن حرف توكيد دخلت عليه ما الزائدة فكفته

---

(١) التفسير المنير(١١/٢٢).

(٢) ينظر: السابق الصفحة نفسها.

(٣) ينظر: اصول علم النفس ص ٦٦.

(٤) ينظر السابق ص ٦١

عن العمل وأزالت اختصاصه بالدخول على الجمل الاسمية ولكن معنى التوكيد ما زال به، وما حرف زائد شبه ما الزائدة للتوكيد[١]، وهي تفيد التوكيد بدرجة أقوى من «إن» وحدها[٢].

وهي لإثبات ما بعدها ونفى ما عداه[٣]، وهو أسلوب من أساليب التوكيد بالقصر، لكنه يخالف أسلوب النفي والاستثناء في أن القصر بـ «إنما» تستعمل فيما لا ينكره المخاطب ولا يدفع صحته[٤].

وهذا عين ما جاء في الأحزاب، حيث ختمت الآيات بتكريم نفسي وبيان لعلة تتالى الأوامر والنواهي وهي ثقيلة على النفس؛ فجاءت العلة مؤكدة بـ «إنما»؛ لترسخ في النفس.

وهي علة مردها إلى سلامة الإنسان نفسه، وفائدتها له هو وهذا يجعل النفس تقبل ما يلقى إليها وتبادر إلى تنفيذه.

وهذا هو ما يسميه علماء النفس نظرية الحافز التي تسعى إلى خفض التوتر[٥].

فالمراد من هذه الأوامر والنواهي تحقيق السمعة العالية، أي سبب تلك الأوامر والنواهي إنما هو لإذهاب المآثم عنكن وتطهيركن من دنس المعاصي والذنوب وتعمير قلوبكن بنور الإيمان[٦].

---

(١) أسلوب التوكيد في القرآن ص ١٨١،١٨٢.

(٢) اسلوب التوكيد اللغوي ص ٢٨ .

(٣) ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم ص٢١٣.

(٤) ينظر: معاني النحو (٤١٣/١).

(٥) ينظر: علم الشخصية (٢٥٣/١).

(٦) ينظر: التفسير المنير (١١/٢٢).

وفي العبارة تلطف ببيان علة التكليف وغايته؛ تلطف يشي بأن الله – سبحانه– يشعرهم بأنه بذاته العلية يتولى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم[١] وهى رعاية علوية مباشرة بأهل هذا البيت، وحين نتصور من هو القائل – سبحانه وتعالى – رب هذا الكون الذي قال للكون: كن فكان، الله ذو الجلال والإكرام المهيمن العزيز الجبار المتكبر... حين نتصور من هو القائل –جل وعلا– ندرك مدى هذا التكريم العظيم[٢].

التوكيد في سورة التحريم

جاء التوكيد في سورة التحريم في صورتين هما: التوكيد بقد والتوكيد بضمير الفصل

وتختص "قد" الحرفية بدخولها على الفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس، ولها معان، منها: التحقيق إذا سبقت فعلًا ماضيًا[٣] وهذا المعنى الذي تدل عليه هو معنًى خاص بثبوت وتحقق هذا الفعل[٤] وقد جاء التوكيد بها في جانبين:

أولًا: جانب ما فعله الرسول ﷺ من تحريمه مارية أو شرب العسل عند زينب ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ التحريم: ٢

وقد أفاد التوكيد هنا التفريج عن نفس رسول الله ﷺ الله وما أصابها من ضيق نتيجة هذا التعاون والتظاهر من السيدتين الكريمتين، و«هو بيان لبعض آثار

---

(١) في الانتقال من نون الإناث إلى ميم الجمع هنا إشارة إلى أن " أهل البيت " هنا " ليس مرادًا بهم أزواجه فقط، بل هم أقاربه كما هو مفصل في كتب التفسير .

(٢) الظلال (٣٨٦٣/٥) .

(٣) تصريف القول ص ١٢٦.

(٤) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ص ١٦٣.

مغفرة الله ورحمته»[١]، وهذه مكرمة من الله وتعظيم للنبي ﷺ [٢] وفي هذا التوكيد تطييب لنفس النبي ﷺ.

ثانيًا: في جانب زوجاته وما حدث منهن من ميل بسبب غيرتهن ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤ فهو تهديد على تهديد، وتعنيف بعد تعنيف فقد التفت –وسبق بيان سبب الالتفات– ثم أكد فعلهما بقد التي تفيد التحقيق إمعانًا في عتابهن وتذكيرًا بخطر ما فعلنه، وحبهن أن يجنب رسول الله ﷺ بعض أزواجه أو أم ولده .

التوكيد بضمير الفصل وإنَّ:

يلاحظ في الشرط الثاني سورة التحريم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَٰهُ﴾ التحريم: ٤ وجود مؤكدين في الجملة وهما: «إنَّ» التي وظيفتها إثبات الحكم حينما يكون المخاطب طالباً ذلك[٣] إذ إنها تنقل الجملة من جملة خبرية من الضرب الأول إلى جملة خبرية تلقى على سمع من هو على درجة من التردد في قبول الخبر[٤] وهذا هو دلالتها على التوكيد، وهذا هو الأصل فيها ويدور معها حيث وردت[٥].

ولكن على الحقيقة لا يمكن أن يقال إن زوجتيه –رضي الله عنهما– شكتا في ذلك فتحتاجا إلى التوكيد، إنما لما فعلتا ما فعلتا من تظاهر عليه قد أنزلتا منزلة من عنده شك في ذلك.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/٢٠٢٤).

(٢) ينظر: نظم الدور (٢/١٨٣).

(٣) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ص ١٣١.

(٤) أسلوب التوكيد اللغوي ص ١٣.

(٥) معانى النحو (١/ ٣٦٠).

يقول فاصل السامرائي: «ومن لطيف مواقعها (إنَّ) أن يُدعى على المخاطب ظن لم يظنه، ولكن يراد التهكم به، وأن يقال: إن حالك والذي صنعته يقتضى أن تكون قد طننت ذلك»[١] .

وهذا ما يسميه البلاغيون تنزيل غير المنكر منزله المنكر؛ لظهور آثار الإنكار عليه، أو أن يجعل المنكر كغير المنكر إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عند إنكاره[٢]، والأسلوب القرآني يستخدم هذا الأسلوب لملاحظ نفسية لولا هذا الأسلوب لما اهتدينا إليها[٣]، وكأن في هذا إلماحًا الى أن ما في صدروهن من غيرة وما ترتب عليها من تظاهر أمر لا ينبغي أن يصدر ممن يعلم أن الله مولى رسوله الله وناصره، ثم جاء ضمير الفصل «هو» زيادة في التأكيد.

وضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر؛ أو ما أصله المبتدأ والخبر، واشترط الجمهور أن يكون الأول معرفة، وأما الثاني فمعرفة أو كالمعرفة في أنه لا يقبل «ال»[٤]

وضمير الفصل وإن لم يكن من ضمن أساليب التوكيد اللفظي أو التوكيد المعنوي بالمفهوم النحوي إلا أنه جزء من أسلوب التوكيد بمفهومه الواسع وأهم وظائفه المعنوية[٥] .

وقد أفاد التوكيد هنا أمرين نفسيين عظيمين:

---

(١) السابق (٣٦٣/١).

(٢) علوم البلاغة ص١٨١، ٢٨٠.

(٣) التعبير القرآني والدلالة النفسية ص٦٠ .

(٤) معاني النحو(٤٧/١).

(٥) ضمير الفصل ووظائفه في القرآن الكريم ص٦٤، ٦٥.

الأول: في جهة الرسول ﷺ وهو تطمين له ﷺ وتأييد على كل من يظاهره ويتعاون عليه.

الثاني: ارتفاع نبرة العتاب واللوم لأزواجه -رضي الله عنهن- من جراء ما لقيه منهن بسبب هذه الغيرة.

وهذا ما عناه أحد المفسرين بقوله: «وحين نتجاوز صدر الخطاب، ودعوتهما إلى التوبة لتعود قلوبهما فتميل إلى الله، فقد بعدت عنه بما كان منها حين نتجاوز هذه الدعوة إلى التوبة نجد حملة ضخمة هائلة وتهديدًا رعيبًا مخيفًا... ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله ﷺ حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد ذلك ظهير؛ ليطيب خاطر الرسول ﷺ ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير، ولا بد أن الموقف في حس رسول الله ﷺ وفي محيطه كان من الضخامة والعمق والتأثير إلى الحد الذي يتناسب مع هذه الحملة»[1].

وهكذا نرى هذا الأسلوب قد أدى دورًا نفسيًا متنوعًا في جانب أزواج النبى ﷺ وفي جانبه، ونرى أن القيم النفسية للتوكيد في حق أزواجه اختلفت تبعًا لاختلاف الدوافع النفسية في الموقفين: ففي سورة الأحزاب كانت الأساليب في جلها تجنح إلى التشريف والتعظيم لشأنهن -رضي الله عنهن-؛ وذلك لأن ما طالبن به ليس ممنوعًا في أصله وإنما هو ميل طبيعي وطلب إنساني، ولكن الإشكال فيه جاء من جهة أنه أغضب رسول الله ﷺ وأما في التحريم فقد كانت المواقف كلها على غير الطريق السلم، في المنطلق وهو الغيرة المذمومة، وفي النتيجة وهي التظاهر والتعاون عليه ﷺ لذلك جاءت المؤكدات لتعطى دلالة زجرية تهديدية.

---

(١) الظلال(٦/٣٦١٦).

حروف المعاني ودلالتها النفسية

يقصد بالحرف الكلمة التي تدل على معنًى في غيرها فقط، ومعنى دلالته على معنى في غيره: أن دلالته على معناه الإفرادي متوقفة على ذكر متعلقه[١]، وتسمى حروف المعاني؛ لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء[٢] .

ولهذه الحروف أهمية كبرى؛ كونها تمثل نمطًا من أنماط الربط بين اسمين، أو فعل واسم، أو بين الجمل، وتتأكد هذه الأهمية عند الحديث عن القرآن الكريم ومعانيه، فعلى أساسها يتوقف فهم عدد كبير من الآيات القرآنية، بل رأى بعض الباحثين أن الاهتمام بأدوات المعاني "تما في أحضان التفسير، ووجد نفسه في تحليلات المفسرين وعبارتهم، وكانت غايته بيان معاني التنزيل الدقيقة، والكشف عن أسرار الجمال"[٣] .

وكثيرًا ما يختلف العلماء في دلالة الحرف في مواضع كثيرة من القرآن بسبب كون الحرف يأتي مشتركا بين أكثر من معنى؛ كالخلاف في دلالة الواو في بعض المواضع على العطف أو الاستئناف، ودلالة (ال) على الجنس أو العهد، ودلالة (إلا) على الاستثناء المتصل أو المنقطع، ودلالة الباء على الإلصاق أو الاستعانة أو السببية... ودلالة (مِن) على ابتداء الغاية أو التبعيض أو بيان الجنس ... ومثل ذلك يقال في باقي الحروف التي جاءت في لسان العرب دالة على أكثر من معنى[٤] .

وتتنوع حروف المعاني ما بين: حروف للعطف، وحروف للجر، وحروف للاستثناء، وحروف للاستفهام، وغير ذلك من الأبواب النحوية .

---

(١) ينظر: الجنى الداني (١/١١٣ و ١١٦) .

(٢) ينظر: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ص١٢ .

(٣) الأدوات النحوية في كتب التفسير ص٣٢ .

(٤) حروف المعاني التي يحتاج إليها المفسر ص٤١ و٤٢ .

ويلقي البحث الضوء هنا على استعمال بعض حروف الجر وأثر ذلك في الدلالة، لا سيما الدلالة النفسية، ومن ذلك:

لام الجر:

وللام معانٍ كثيرة أوصلها البعض إلى ثلاثين قسمًا، لعل أهم معانيها وهي التي وردت هنا هي التبليغ[١] والاختصاص[٢]، وجل العلماء يرى رد كل المعاني الأخرى للاختصاص، بل إن بعضهم لم يرَ فيه غير هذا المعنى[٣].

فأما لام التبليغ فهي اللام الجارة اسمَ سامعِ قولٍ أو ما في معناه[٤]، نحو: قلت له، وأذنت له، وفسرت له[٥]، وقد جاءت لام التبليغ في أول آيات التخيير في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨ وفي استعمال لام التبليغ عتاب مبطن لأزواج النبي ـرضي الله عنهنـ إذ لم يتوجه الله بالقول لهن مباشرة، وإنما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يبلغهن، وهذا عتاب لهن رقيق على ما فعلن من سؤال النفقة الذي آذى رسول الله، ويدل على ذلك أنهن بعد أن اخترن الله ورسول والدار الآخرة – أي بعد الامتثال – توجه الخطاب لهن مباشرة بعد آيتين من هذه الآية، وقد سبق بيان ذلك في الحديث عن النداء .

---

(١) ينظر: الجنى الداني (٢٢٧/١) .

(٢) ينظر: السابق(٢٢٣/١) .

(٣) الأدوات النحوية في كتب التفسير ص٥٠٣ .

(٤) يعني: جارة لاسم من كلف المرء بإيصال القول إليه؛ كأن يُقال: قل لفلان كذا .

(٥) ينظر: الجنى الداني (٢٢٧/١) .

وقد جاءت اللام للاختصاص في أول التحريم مرتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ التحريم: ١ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ التحريم: ٢

ولهذا الاختصاص آثار نفسية تتجلي في الإيحاء بأن القول موجه له هو فقط، مما يحمله على التنبه وفهم الخطاب والامتثال له، ففي حق النبي -ﷺ- بيان لاختصاصه بحل ما كان قد حرمه على نفسه، ففيه بيان للتكريم للنبي بهذا الأسلوب الذي يدل على الاختصاص .

وإذا كان _كما يرى بعض الباحثين_ أن بين الاستحقاق والاختصاص عمومًا وخصوصًا، فكل اختصاص فيه استحقاق(١)، فإن في هذا دافعًا نفسيًا آخر؛ لبيان رفع المنزلة، وتسرية عما لحقه من حزن بسبب الواقعة، وذلك ببيان أنه مستحق لما أحله الله تعالى له، وأنه أهل لأن يتكرم الله عليه بذلك، وما قيل في شأن النبي -ﷺ- ينطبق على المؤمنين، فهذه الكفارة التي شرعها الله في اليمين خاصة بالمؤمنين فقط، وهذا زيادة في التسرية عن رسول الله -ﷺ- وعلى المؤمنين جميعًا ورفع لمكانهم بين غيرهم، "ولما كان التخفيف على هذه الأمة إنما هو كرمًا منه وتعظيمًا لهذا النبي -ﷺ- قال: لكم، أي أيتها الأمة التي أنت رأسها"(٢).

مِن الجارة :

لـ "مِن" عدد كثير من المعاني أوصلها المرادي إلى أربعة عشر معنى(٣)، وقد جات "من" مضافة للضمير العائد على أمهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ

---

(١) ينظر: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ص٢٨٠ .

(٢) نظم الدرر (١٨٢/٢٠).

(٣) ينظر: الجنى الداني (٤٧٠/١) .

﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الأحزاب: ٣٠ – ٣١ .

وقد رأي البقاعي صلاحية معنيي البيان والتبعيض هنا(١)، وصلاحية المعنيين هنا تصب في غرض نفسي مهم، وهو التحفيز على الامتثال، فإن كانت للبيان فهو تكريم لهن، ورفع لمكانتهن ببيان أن هذا لهن فقط لا لغيرهن، والشخص إذا خصه صاحب علو بشيء رفع ذلك من همته، فما بالنا إن كان ذلك التخصيص من الله !

وإن كانت للتبعيض فهذا دافع لهن جميعًا على الامتثال من خلال إذكاء الغيرة بينهن في أمور محمودة، فمن طبع الزوجات الغيرة والحرص من كل واحدة على أن تنال رضا زوجها، والحرص على أن لا تسبقها ضرتها بشيء من ذلك، فإن قيل: بعضكن سيفعل ثارت غيرتهن جميعا لأن تكون أول هذا البعض، ويدلنا على ذلك طلب أمنا عائشة –رضى الله عنها– من النبي –ﷺ– أن لا يخبر أحدا باختيارها؛ حتى لا يخترن ما اختارت، فتفوز هي بهذا الاختيار(٢).

إن كل تلك المعاني تصب فيما ظهر واضحًا في الآيات من العمل على إثارة دافعيتهن على الامتثال بشتى أنواع التحفيز .

كاف التشبيه:

كاف الجر حرف من حروف التشبيه، وقد جاء مرة واحدة في قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الأحزاب: ٣٢

---

(١) نظم الدرر (١٥/٣٣٨).

(٢) الحديث في مسلم (٢/١١١٣) باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن وقوله تعالى: {وإن تظاهرا عليه} برقم (١٤٧٥).

والسؤال المهم هنا هو: لماذا أتى بكاف التشبيه ولم يأت بـ "مِثل" التي تفيد التشبيه أيضًا؟

يقول العسكري عن الفرق بينهما: "والتشبيه بِالْكَاف يُفِيد تَشْبِيه الصِّفَات بَعْضهَا بِبَعْض، وبالمثل يُفِيد تَشْبِيه الذوات بَعْضهَا بِبَعْض، تَقول لَيْسَ كزيد رجل أَي فِي بعض صِفَاته؛ لِأَن كل أحد مثله فِي الذَّات"(١).

وفي استعمال الكاف هنا إيماءات تربوية هامة جدًا، وهو أنهن لم يفضَّلن بسبب ذواتهن، بل بسبب ما منحهن الله من الصفات التي أهلتهن لذلك، "وليس النفي منصبا على التشبيه في كونهن نسوة، تقول: ليس زيد كآحاد الناس، لا تريد نفي التشبيه عن كونه إنسانًا، بل في وصف أخص موجود فيه، وهو كونه عالمًا، أو عاملًا، أو مصليًا، فالمعنى: أنه يوجد فيكن من التمييز ما لا يوجد في غيركن، وهو: كونكن أمهات المؤمنين، وزوجات خير المرسلين، ونزل القرآن فيكن، فكما أنه -عليه السلام- ليس كأحد من الرجال، ...كذلك زوجاته اللاتي تشرفن به"(٢).

وهذا أسلوب تربية وتهذيب ليتذكرن أن كل ما هن فيه من الشرف لم يحَصِّلْنه بذواتهن، ولكنه فضل من الله ورسوله، وإذا كان الأمر كذلك فعليهن المسارعة إلى التزام ما يرضي الله ورسوله.

وهكذا نرى حروف المعاني ساهمت في إلهاب المعاني النفسية والتسرية عن النبي ﷺ وإثارة الدافعية في نفوس أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-.

---

(١) الفروق ص١٥٦.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/٤٧٤).

الخاتمة

الحمد لله فاتحةُ كل خير، وختامُ كل نعمة، والصلاة والسلام على النبي الأكرم والرسول المعظم .

وبعد

فهذه رحلةٌ ممتعة قضيتها مع آيات من القرآن الكريم تصور بعض قضايا البيت النبوي تصويرًا إنسانيًا يكشف عن النزعات الإنسانية، والخطرات النفسية، ويعالج الخلل، ويوضح المنهج .

وقد كانت أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث ما يلي :

١. تتعاضد الدلالات: المعجمية، والصرفية، والنحوية، في بيان الدلالة النفسية التي صدرت عنها المواقف، فتجليها وتحدد منازعها في لغة متكاملة تكشف عن خبايا النفس وأغوار الروح، وأي محاولة لدراسة الآثار النفسية عن طريق بعض هذه الدلالات وترك بعضها ستُبقي الصورة غير كاملة المعالم.

٢. تتغير الدلالات النفسية ويتنوع معها النظم القرآني تبعًا لتغير البواعث النفسية، فحين كان الميل نحو أمر طبعي من طبع البشر كان الأسلوب يوازن بين الترغيب والترهيب، وحين كان ميلًا عن المأمور به ارتفعت نبرة الخطاب حتى وصلت لأعلاها في آخر الموقف وهو التهديد بالأمر الذي تكرهه المرأة، وهو الطلاق .

٣. يختار القرآن اللفظ خفيف الوقع في دلالته أو الذي يعبر عن المعنى عن طريق الكناية لا الوضوح في الموطن التي يجنح فيها إلى التهذيب لا التأنيب، بعكس المواقف التي يلجأ فيها إلى الترهيب فيكون اللفظ صريحًا واضح الدلالة على ما تخاف منه النفس البشرية وتتهيبه .

٤. يأتي الفعل ليؤدي دلالة سياقية ونفسية حسب الموقف الذي يستدعيه من اتصال بالحال، أو انقضاء في الزمن الماضي، أو وعد أو وعيد فيما هو آت.

٥. يوازن القرآن نفسيًا بين التكليف والتشريف، فعلى قدر الشرف ضاعف العذاب، وعلى قدر المغرم ضاعف الأجر، ورفع الروح المعنوية.

٦. استعمل القرآن شتى الوسائل التركيبية لبيان أثر الدافع النفسي فنادى، وأكد وشرط، وأفرد وجمع، ونوع في زمن الفعل؛ بيانًا لآثار دوافع النفس .

٧. اعتمد القرآن مبدأ عامًا هو ستر المرأة حتى في حالات الميل عن المطلوب لم يصرح باسم الزوجتين، بل استعمل الجمع ولم يستعمل المثنى حتى لا يشار لاثنتين بأعينهما .

٨. كان الوعيد في سورة التحريم أعلى منه في سورة الأحزاب؛ لأن الميل في موقف السيدتين هنا أكبر، وأعلى منه في الأحزاب، كذلك لأن سورة التحريم نزلت بعد سورة الأحزاب وتكرار موقف الخطأ يؤذن بارتفاع نبرة العتاب .

٩. حرص القرآن في مواقف الميل اليسير على الموازنة بين الترغيب والترهيب، في حين أنه حرص في المخالفات الكبيرة على بيان عواقبها في الدنيا والآخرة .

١٠. حرص القرآن على إثارة الدافعية والتحفيز بعد أن انصاعت رغبة المخاطبين لأمر الله ورسوله، كما حرص على الدعوة إلى الأوبة والتوبة في مواطن الخطر والميل عن الجادة كل ذلك بلغة تؤدي وظائف نفسية بالإضافة إلى وظائفها الدلالية .

١١. كشفت الدراسة عن بعض طباع الأنفس البشرية وأنه مهما علت مرتبة البشر –خلا الأنبياء– فإنهم عرضة للميل والمخالفة من جراء نزعات النفس ورغباتها.

هذا، ويوصي البحث بتنوع الدراسات التي تبحث عن الدوافع النفسية في القرآن

الكريم وآثارها على تنوع النظم، وأثر اللغة في بيانها، وهذه بعض الموضوعات المقترحة:

١. ألفاظ الزواج والطلاق وكناياتهما في القرآن دراسة سياقية في ضوء اللسانيات النفسية .
٢. حوار الأصحاب في القرآن الكريم دراسة في ضوء اللسانيات النفسية .
٣. أثر الدوافع والسمات النفسية في اختلاف الحوار بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم .
٤. غزوة الخندق في القرآن الكريم دراسة في ضوء اللسانيات النفسية .
٥. ألفاظ الحب والكره في القرآن دراسة دلالية في ضوء اللسانيات النفسية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
ورضي الله عن زوجاته أمهات المؤمنين

المراجع والمصادر

١.اتجاهات البحث اللساني – مليكا فليش – تر/د. سعد مصلوح و د. وفاء كامل فايد – ط/المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠م.

٢.اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية – د/محمد عبد الرحمن الريحاني – ط/دار قباء للطباعة والنشر – ١٩٩٨م.

٣.أدبية النص القرآني بحث في البنية والأسلوب والسرد – د/إدريس منتصر – ط/دار الكلمة – مصر، والدار المغربية – المغرب –الأولى – ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

٤.الأدوات النحوية في كتب التفسير –د/محمود أحمد الصغير – ط/دار الفكر – سوريا – الأولى – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥.ارتشاف الضرب من لسان العرب – أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي – تح/ رجب عثمان محمد – ط/مكتبة الخانجي– الأولى – ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

٦.الأساس في التفسير – سعيد حوّى – ط/دار السلام – السادسة ١٤٢٤–هـ.

٧.أساليب النداء في القرآن الكريم – د/عبد القادر محمد وهدان – ط/دار اللؤلؤة – الأولى – ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٨.أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط "إن وإذا ولو" ومواقعه في القرآن الكريم – د/محمود موسى حمدان – ط/مكتبة وهبة – الأولى – ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٩.أسس علم النفس العام – د/طلعت منصور وآخرون – ط/مكتبة الأنجلو المصرية – ٢٠٠٣م.

١٠.أسلوب التوكيد في القرآن الكريم – د/حمد حسن أبو الفتوح – ط/مكتبة لبنان – لبنان – الأولى – ١٩٩٥م.

١١.أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي – د/خليل أحمد عمايرة – ط/دار الفكر – الأردن – د(ط/ت).

١٢.أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز – د/مصطفى شاهر خلوف – ط/دار الفكر – الأردن – الأولى – ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ.

١٣.أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم آثارها الوجدانية والسلوكية – عبد الحميد راجح الكردي – ط/دار المأمون – الأردن – الأولى – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٤.أصول علم النفس – د/أحمد عزت راجح – ط/دار الكاتب العربي – السابعة – ١٩٦٨م.

١٥.الإعجاز الصرفي في القرآني الكريم – د/عبد الحميد أحمد هنداوي – ط/المكتبة العصرية – لبنان – ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٦.الإعجاز الفني في القرآن الكريم – عمر السلامي – ط/مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله – تونس – ١٩٨٠م .

١٧.أمالي ابن الحاجب – جمال الدين بن عثمان بن عمر ابن الحاجب المالكي – تح/د. فخر صالح سليمان قدارة – ط/دار عمار – الأردن و دار الجيل – بيروت –١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

١٨.أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية – بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية – د/حسام البهنساوي – ط/مكتبة زهراء الشرق – الأولى – ٢٠٠٣م/١٤٢٣هـ.

١٩.انفعالات النفس – رينيه ديكارت – تر/جورج زيناتي – ط/دار المنتخب العربي – بيروت – الأولى – ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٠.البحر المحيط في التفسير – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي – تح/ صدقي محمد جميل – ط/دار الفكر – لبنان –١٤٢٠هـ .

٢١.البديع في علم العربية –مجد الدين ابن الأثير – تح/فتحي أحمد علي الدين ط/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية – الأولى – ١٤٢٠ هـ .

٢٢.البرهان في علوم القرآن – أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر – تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه – الأولى، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

٢٣.البلاغة الصوتية في القرآن الكريم – د/محمد إبراهيم شادي – الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع – الأولى – ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٢٤.بلاغة القرآن الكريم في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل – ظافر بن غرمان العمري – ط/مكتبة وهبة – الأولى – ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.

٢٥.بناء الجملة العربية – د/محمد حماسة عبداللطيف – ط/دار غريب – ٢٠٠٣م.

٢٦.التحديد في الإتقان والتجويد – أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني – تح/الدكتور غانم قدوري الحمد – ط/مكتبة دار الأنبار – العراق – الأولى ١٤٠٧ هـ/١٩٨٨ م.

٢٧.التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور – ط/ دار ابن حزم مصر ودار سحنون بتونس – الأولى – ١٤٤٣هـ/٢٠٢٣م.

٢٨.التحقيق في أصول كلمات القرآن – حسن مصطفوي – ط/ مركز نشر آثار العلامة المصطفوي – إيران –الأولى ١٣٨٥هـ.

٢٩.التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية – د/محمود عكاشة – ط/دار النشر للجامعات – الثانية – ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٣٠.التشكيل الجمالي في النظم القرآني – د/السيد خضر – ط/دار النابغة – الأولى – ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٣١.تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام – د/ أحمد محمد صافي – ط/دار ابن كثير– سوريا ولبنان – الأولى – ١٤٣٩هـ/٢٠١٩م.

٣٢.التعبير القرآني والدلالة النفسية – د/عبدالله محمد الجيوسي – ط/ دار الغوثاني للدراسات القرآنية – الأولى – ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

٣٣.التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] دروزة محمد عزت – ط/ دار إحياء الكتب العربية –١٣٨٣هـ .

٣٤.تفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي– ط/ مطابع أخبار اليوم – د (ط/ت) .

٣٥.التفسير القرآني للقرآن – د/ عبد الكريم يونس الخطيب – ط/دار الفكر العربي – القاهرة – د(ط/ت) .

٣٦.تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي – ط/شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي – الأولى – ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م .

٣٧.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د. وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر المعاصر – دمشق – الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٣٨.التفسير الواضح – د/محمد محمود حجازي – ط/دار الجيل الجديد – بيروت – العاشرة – ١٤١٣ هـ

٣٩.تهذيب اللغة – أبو منصور الأزهري الهروي – تح/ محمد عوض مرعب – ط/دار إحياء التراث العربي – لبنان – الأولى– ٢٠٠١م .

٤٠.التوكيد في النحو العربي – د/المتولي علي المتولي – ط/مكتبة جزيرة الورد – د(ط/ت).

٤١.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) – أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري – تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر – ط/دار طوق النجاة – الأولى – ١٤٢٢هـ

٤٢.الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي –أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – الثانية، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م .

٤٣.درس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب – د/ ماهر شهدي هلال – ط/دار الرشيد للنشر – ١٩٨٠م.

٤٤.الجملة الشرطية عند النحاة العرب – د/إبراهيم الشمسان – ط/مطابع الدجوي – الأولى – ١٤٠١/١٩٨١م.

٤٥.الجملة العربية – تأليفها وأقسامها – د/فاضل صالح السامرائي – ط/دار الفكر – الأردن – الأولى – ٢٠٠٧م/ ١٤٢٧هـ.

٤٦.الجنى الداني في حروف المعاني – الحسن بن قاسم المرادي – تح/ أحمد خليف الأعرج – ط/وزارة الأوقاف القطرية – ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٤٧.الجوانب النفسية في أسلوب النداء دراسة تركيبية دلالية – د/ عبدالله عويقل السلمي – مجلة الصوتيات – العدد الثامن .

٤٨.حروف المعاني التي يحتاج إليها المفسر دلالاتها وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية – د/عبد الرحمن بن عبدالله القرشي – ط/مركز تفسير للدراسات – السعودية – الأولى – ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م.

٤٩.حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه – د/ محمود سعيد – ليس على الكتاب دار طباعة .

٥٠.ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالاتها – د/ علي بن سليمان العبيد – د/دار العاصمة – السعودية – الأولى – ١٤١٨هـ .

٥١.الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني – تح/ محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الرابعة .

٥٢.خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – د/عبدالعظيم المطعني – ط/مكتبة وهبة – الأولى – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٥٣.الخطاب والتلقي مقارنة لسورة قرآنية في ضوء نظريات القراءة – عبد الحاكم بالحيا – ط/دار الضحى للنشر والإشهار– الجزائر – الأولى – ٢٠٢٣م.

٥٤.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي – تح/ الدكتور أحمد محمد الخراط – ط/دار القلم – سوريا – د(ط/ت).

٥٥.دراسات في النفس الإنسانية – محمد قطب – ط/ دار الشروق – العاشرة – ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥٦.دراسات في علم النفس الإسلامي – د/ محمود البستاني – ط/دار البلاغة – لبنان – الأولى – ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٧.درْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تح/طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور أمرير– ط/دار الفكر – الأردن– الأولى١٤٣٠ هـ /٢٠٠٩م .

٥٨.الدلالة الزمنية في الجملة العربية – د/علي جابر المنصوري – ط/الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر – والتوزيع – الأردن – الأولى – ٢٠٠٢م.

٥٩.الدلالة الزمنية للفعل كان في القرآن الكريم – عبد الحسين إبراهيم محمد – مجلة الدراسات المستدامة – السنة الخامسة – العدد الثاني – المجلد الخامس – ملحق (١) ٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ .

٦٠.الدوافع النفسية – د/مصطفى فهمي – ط/ مكتبة مصر – الثالثة – ١٩٥٥م.

٦١.الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي – تح/أحمد حسن فرحات – ط/دار عمار – الأردن – الثالثة – ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

٦٢.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني – تح/ علي عبد الباري عطية – ط/دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى، ١٤١٥ هـ .

٦٣.الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية – د/ امحمد الملاخ – الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف – الجزائر ولبنان – الأولى – ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٦٤.الزمن واللغة – د/ مالك بن يوسف المطلبي – ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٦ .

٦٥.زوجات النبي -ﷺ- الشيخ/ أسعد الصاغرجي – ط/دار القبلة للثقافة الإسلامية – السعودية –د(ط/ت) .

٦٦.سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جني – دار الكتب العلمية – لبنان – الأولي ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٦٧.سيكولوجيا الحب والحرمان – كايد الشايب – ط/دار فضاءات – الأردن – الأولى – ٢٠٠٢م.

٦٨.سيكولوجية الرجل والمرأة المشكلات الزوجية أسبابها وطرق علاجها – د/طارق كمال النعيمي – ط/دار إحياء العلوم – لبنان – الأولى – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦٩.سيكولوجية القصة في القرآن الكريم – د/التهامي – نقرة – ط/الشركة التونسية لفنون الرسم – ١٩٧٤م.

٧٠.شخصية المرأة في القصص القرآني دراسة أدبية تحليلية – د/نورة بنت محمد بن فهد الرشيد – ط/دار ابن الجوزي – السعودية – الأولى – ١٤٢٧هـ .

٧١.شرح تسهيل الفوائد – جمال الدين محمد بن عبد الله الشهير بابن –تح/ د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون – ط/هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧٢.شرح تسهيل الفوائد – محمد بن عبد الله، ابن مالك – تح/ د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون – ط/هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – الأولى – ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٧٣.شرح طيبة النشر في القراءات العشر – أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد، النُّوَيْري – تح/ مجدي محمد سرور سعد باسلوم – ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م .

٧٤.شرح كتاب سيبويه – أبو سعيد الحسن بن عبد الله – تح/ أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي – ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الأولى، ٢٠٠٨ م .

٧٥.الشوقيات – أحمد شوقي – ط/مؤسسة هنداوي – د(ط/ت).

٧٦.الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها – أحمد بن فارس بن زكريا القزويني –ط/: محمد علي بيضون – الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٧٧.ضمير الفصل ووظائفه في القرآن الكريم أسرار وتأملات بلاغية – د/عبد الرازق حسين أحمد – ط/كرسي القرآن الكريم جامعة الملك سعود – السعودية – الأولى – ١٤٢٦هـ .

٧٨.عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح – بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي تح/ الدكتور عبد الحميد هنداوي – ط/المكتبة العصرية للطباعة والنشر – لبنان – الأولى، ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣ م .

٧٩.علم الشخصية – لورانس برافين – تر/عبد الحليم محمود السيد وآخرين – ط/المركز القومي للترجمة – ٢٠١٠م.

٨٠.علم اللغة النفسي – د/عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي – ط/جامعة الإمام محمد بن سعود – السعودية – ١٤٢٧ /٢٠٠٦م.

٨١.علم النفس الدافعي – د/رشاد علي عبد العزيز – ط/دار النهضة العربية – ١٩٩٤م.

٨٢.علم النفس اللغوي – د/ نوال محمد عطية – ط/المكتبة الأكاديمية – الثالثة – ١٩٩٥م.

٨٣.علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) – د/ محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب ط/المؤسسة الحديثة للكتاب – لبنان – الأولى، ٢٠٠٣ م .

٨٤.عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي – تح محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

٨٥.الغيرة والخيانة – د/ عادل صادق – ط/دار الشروق – الأولى – ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٨٦.الفاصلة في القرآن – محمد الحسناوي – ط/دار عمار – الثانية – ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨٧.فتح القدير – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – ط/ دار ابن كثير و دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الأولى – ١٤١٤ هـ .

٨٨.الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري تح/محمد إبراهيم سليم – ط/دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – د(ط/ت).

٨٩.الفواصل – د/حسين نصار – ط/مكتبة مصر – الأولى _١٩٩٩م.

٩٠.في ظلال القرآن . سيد قطب إبراهيم – ط / دار الشروق . القاهرة.

٩١.القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم – د/ خالد إسماعيل علي – ط/ دار المتقين للطباعة والنشر ومؤسسة البديل للدراسات والنشر – لبنان – الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩٢.القاموس النفسي القرآني دليل مفردات السلوك والحالات النفسية للإنسان في القرآن الكريم – د/السر أحمد سليمان – ط/ مؤسسة النبأ العظيم ومكتبة العبيكان – السعودية – الأولى – ١٤٤٤هـ .

٩٣.القرآن وعلم النفس – د/ محمد عثمان نجاتي – ط/دار الشروق – السابعة : ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٩٤.القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته – د/فضل حسن عباس – ط/دار الفرقان – الأردن – الأولى – ١٤٠٧هـ/١٩٩٧م.

٩٥.الكافية في علم النحو – جمال الدين بن عثمان بن عمر ابن الحاجب المالكي –تح/الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر – ط/مكتبة الآداب – الأولى – ٢٠١٠ م .

٩٦.كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم – د/ محمد محمد داوود – ط/دار المنار – الثانية .

٩٧.اللباب في علوم الكتاب – أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ط/ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الأولى، ١٤١٩ هـ /١٩٩٨م .

٩٨.اللسانيات البينية – د/خالد حوير الشمس – ط/مركز الكتاب الأكاديمي – الأردن – الأولى – ٢٠٢٢م.

٩٩.لطائف الإشارات (تفسير القشيري) – عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت تح/ إبراهيم البسيوني – ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – الثالثة .

١٠٠.اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري – د/عطية أحمد سليمان – ط/الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – د(ط/ت).

١٠١.لمحات نفسية في القرآن الكريم – د/عبد الحميد محمد الهاشمي – ط/ رابطة العالم الإسلامي – ١٤٠٢هـ .

١٠٢.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين بن الأثير – تح/أحمد الحوفيو بدوي طبانة – ط/دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – د(ط/ت).

١٠٣.مجازات النداء وحقيقه وأغراضهما في الخطاب القرآني – د/ظافر بن غرمان العمري – مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية – العدد السادس – ذوالحجة – ١٤٢٩هـ .

١٠٤.المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي – تح/ عبد الحميد هنداوي – ط/ دار الكتب العلمية – الأولى ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.

١٠٥.مدخل إلى علم اللغة الحديث – د/عبد الفتاح البركاوي – ط/مكتبة الجريسي – الرابعة – ١٤٢٤هـ/٢٠١١م.

١٠٦.المرأة في القصص القرآني – د/أحمد الشرقاوي – ط/دار السلام – الأولى – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٠٧.المرتجل (في شرح الجمل)– أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب – تح/ علي حيدر – ط/دمشق – ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م .

١٠٨.المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك – عدنان أحمد الفسفوس – الأولى – ١٤٣٢هـ٢٠١١م.

١٠٩.مسند الإمام أحمد -- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن – تح/ أحمد محمد شاكر – ط/دار الحديث – القاهرة – الأولى – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١٠.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) – أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – لبنان – د(ط/ت).

١١١.معاني الأبنية في العربية – د/ فاضل صالح السامرائي – ط/ دار عمار – الثانية – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١١٢.معاني القرآن وإعرابه – أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج – تح/عبد الجليل عبده شلبي – ط/عالم الكتب – بيروت – الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .

١١٣.معاني النحو – د/فاضل صالح السامرائي – ط/دار ابن كثير – سوريا ولبنان – الثانية – ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

١١٤.المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم – د. محمد حسن حسن جبل – ط/ مكتبة الآداب – القاهرة – الأولى، ٢٠١٠ م.

١١٥.المعجم الدلالي لألفاظ القدرة والتمكين في القرآن الكريم – د/يس أحمد العيسى – ط/دار الأمة – السعودية – الأولى – ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م .

١١٦.معجم اللغة العربية المعاصرة – د/ أحمد مختار عمر – ط/ عالم الكتب – الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١١٧.المعجم الموسوعي في علم النفس – نور بير سيلامي وآخرون – ط/ وزارة الثقافة – سوريا – ٢٠٠١ .

١١٨.المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته –محمد واعظ زادة وآخرون – ط بمجمع البحوث الإسلامية بقم – إيران – الثانية .

١١٩.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير – أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي– دار إحياء التراث العربي– بيروت– الثالثة– ١٤٢٠ هـ .
١٢٠.المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى – تح/ صفوان عدنان الداودي – ط/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت : الأولى – ١٤١٢ هـ
١٢١.المفعول المطلق فضلة نحوية ذات وظيفة دلالية – د/عبد الفتاح أحمد الحموز – ط/دار جرير – الأردن – الأولى – ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م.
١٢٢.مقابلة الدافعية تهيئة الأفراد للتغيير – وليام ميلر وستيفين رولنيك – تر/صابر أحمد عبد الموجود – ط/المركز القومي للترجمة – الأولى – ٢٠١٢ م.
١٢٣.المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) – أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي – تح/مجموعة محققين – ط/ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة – الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
١٢٤.مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي – تح/عبد السلام محمد هارون – ط/دار الفكر : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٢٥.مقدمة في اللسانيات – د/عيسى برهومة – ط/الجامعة الهاشمية – الأردن – ٢٠٠٥م.
١٢٦.من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب – د/ محمد محمد أبو موسى – ط/ مكتبة وهبة – الثانية – ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
١٢٧.من أسرار النظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة سورة التحريم نموذجًا – د/صبحي إبراهيم العفيفي – حولية كلية اللغة العربية بجرجا – العدد الرابع والعشرين – المجلد الثالث – ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

١٢٨.منهج التربية الإسلامية – محمد قطب – ط/دار الشروق – الرابعة عشرة – ١٤١٤هـ/١٩٩٣.

١٢٩.منهج القصة في القرآن – محمد شديد – ط/مكتبات مكة للنشر والتوزيع – السعودية – الأولى – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م.

١٣٠.مهاد في اللسانيات – د/خالد حوير الشمس – مؤسسة دار الصادق الثقافية – العراق – الأولى – ٢٠٢٤م.

١٣١.نحو علم نفس إسلامي – د/حسن محمد الشرقاوي – ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب – د(ط/ت).

١٣٢.النداء في اللغة والقرآن – د/أحمد محمد فارس – ط/دار الفكر اللبناني – الأولى – ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٣٣.النداءات الإلهية في سورة التحريم – دراسة تحليلية موضوعية – د/خالد سعيد البسيوني – مجلة كلية دار العلوم بالقاهرة – ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٣٤.النشر في القراءات العشر – شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري، تح/علي محمد الضباع – ط/ المطبعة التجارية الكبرى .د(ط/ت).

١٣٥.النص والخطاب والاتصال – د/محمد العبد –الأكاديمية الحديثة – للكتاب الجامعي – ٢٠٢٤م.

١٣٦.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي – دار الكتاب الإسلامي – د(ط/ت).

١٣٧.الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع – الشيخ/عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي – ط/مكتبة السوادي للتوزيع–الرابعة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .

١٣٨.وحي القلم – مصطفى صادق الرافعي – دار الكتب العلمية – الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.